٤٥٢/٩٩

اعلام الناس

بما وقع للبرامكة مع بنى العباس

تأليف الامام والفاضل الهمام الكامل محمد

المعروف بديباب الاتليدى رحمه الله

تعالى والمسلمين ونفعنا

به وبعلومه آمين

١٤٥٤/ب

كتابخانه خصوصى
غلامحسين - سروه

ثبت ١٢٨٦٩٨

يباع بمحل طه علام وشريكه بأول شارع
الصنادقيه بجوار الازهر الشريف بمصر

جمهوری اسلامی ایران

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

شماره ثبت کتاب

۱۲۸۶۹۸

کتاب ..... اعلام الناس .....

مؤلف ..... دیباب الاتلیدی .....

موضوع .....

شمارهٔ اختصاصی ( ) از کتب اهدائی : غلامحسین سرود

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمدلله) الذى انزل الكتاب المبين على اشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه اخبار المتقدمين والمتأخرين وعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين نحمده اذ جعلنا من امته ونشكره على عطائه ومنته ونشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا ستره اذ زالت بنا القدم وجعلنا امة عدولا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب المعظم المكرم فقال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فظهر الفضل بما جاء به ونكرم ونشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذى قال ادبنى ربى فاحسن تأديبي فساد على جميع الانبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (وبعد) فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى ايامه وكثير التخليط وزيادة اثامه محمد المعروف بدياب الاتليدى من اقليم المنية الخصيبة سألني بعض الاخوان الموفقين ممن لايسعنى مخالفته ان اجمع له شيئا مما وقع فى زمن الخلفاء المتقدمين من بنى امية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علمى انى لست اهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب وسميته (اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس) وابتدأت فى ذلك بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه تبركا به وذكره (وقيل) لما رجع عمر رضى الله عنه من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فر بعجوز فى خباء لها فقصدها فقالت مافعل عمر رضى الله عنه قال قد اقبل من الشام سالما فقالت ياهذا لاجزاه الله خيرا عني قال ولم قالت لانه ما نالنى من عطائه منذ ولى امر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدري عمر بحالك وانت فى هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ماظننت ان احدا بلى على الناس ولايدرى مابين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضي الله عنه فقال واعمراه كل احد افقه منك حتى العجائز ياعمر ثم قال لها ياأمة الله بكم تبيعني ظلامتك من عمر فانى ارجوه من النار

فقالت لاتهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذا اقبل على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت امير المؤمنين فى وجهه فقال لها عمر لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة الى يوم كذا بخمسة وعشرين دينارا فادعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدي الله تعالى نعم برىء منه شهد على ذلك على وابن مسعود ثم دفعها الي ولده وقال اذا انامت فاجعلها فى كفنى التي بها بى (وقال) شرف الدين حسين بن ريان انه بينما امير المؤمنين عمر بن الخطاب جالس فى بعض الايام عنده اكابر الصحابة واهل الرأى والاصابة اذ أقبل شاب نظيف الاثواب يكتنفه شابان من احسن الشبان نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي امير المؤمنين ولبياه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما فامرهما بالكف عنه فادنياه منه وقالا ياامير المؤمنين نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق عقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم فى قبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله وبانا صغار واعزنا كبارا وأولانا نعما عزارا كما قيل

لما والد لوكان للناس مثله اب آخر اغناهموا بالمناقب

خرج اليوم الي حديقة له يتنزه فى اشجارها ويقطع يانع ثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسأل القصاص بما جناه والحكم فيه بما اراك الله فنظر عمر الي الشاب وقال له سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجأش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع ونزع جلباب الجزع فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان ثم قال يا أمير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى وعبرا بما ترى وسأنهى قصتى بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا امير المؤمنين انى من العرب العرباء ابيت فى منازل البادية واصيح على اسود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فاضت بى بعض

طرائقها الى المسير بين سدائقها بنياق حبيبات عزيزات على بينهن فحل كريم
الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشي بينهن كانه ملك عليه تاج
فمرت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمفرشها
فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قط رمجروز فر وتسور الحائط وظهر وفي يده
اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله واصاب
مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط ولجنبه انقلب توقدت في جمرات الغضب
فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه ولقي سوء منقلبه والمرء
مقتول بما قتل به بعد ان صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فأسرعت من
مكاني لم يكن بأسرع من هذين الشابين فأمسكاني واحضراني كما ترانى
فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعزرا لخلاص ووجب القصاص ولات حين
مناص فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام
لكن لي أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل أو ذهب جليل وأحضره
بين يدي وأسلم امره الي واشهد الله على وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك
فاتخذت لذلك مدنيا ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا فان حكمت الآن بقتلي ذهب
الذهب وكنت انت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقفي الله بين خلقه وان
انتظرتني ثلاثة ايام اقمت من يدلي امر الغلام وعدت وافيا بالدمام ولي من يضمني على
هذا الكلام فأطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقول على ضمانته والعود الى
مكانه قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين وأشار الى أبي ذر دون
الحاضرين قال هذا يكفلني و يضمنني قال عمر يا أبا ذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم
اضمنه ثلاثة ايام فرضي الشابان بضمان أبي ذر وانظراه بذلك القدر فلما انقضت مدة
الامهال وكادوقت نهاية زول وقد زال الشابان الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم
حول القمر وأبوذر قد حضر والخصم ينتظر فقال ابن الغريم يا اباذر كيف يرجع من
فرفقال ابوذر وحق الملك العلام إن انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت الضمان
واسلمت نفسي والله المستعان فقال عمر والله ان تأخر الغلام لامضين في أبي ذر ما اقتضته
شريعة الاسلام فهمت الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج

وتزايد النشيج فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الاثنينة فاصرا على
عدم القبول وابيا الا الاخذ بالمقبول فبينما الناس يموجون تلفتا لما مر ويضجون
تأسفات اذ فراذا قبيل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم عليه اتم السلام ووجهه
يتهلل مشرقا وقال قد اسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم بخفي امواله وأطلعتهم على
مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه
ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من عذر لم يعف عنه من قدر ومن رحمه
الطالب رعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينجح منه احتراص كيلا يقال ذهب الوفاء
من الناس فقال ابوذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أي قوم
ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن نظرا الى دون من حضر فقصدني وقال هذا يضمني
فلم استحسن رده وابت المروءة ان تخيب قصده فقال الشابان عند ذلك يا امير المؤمنين
قد وهبنا هذا الغلام دمنا بينا فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه واستحسن
مروءة ابي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف وأثنى عليها
احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت

من يصنع الخير لم يعدم جوائره لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما فقال انما عفونا ابتغاء وجه
ربنا الكريم ومن بيته هكذا لا يتبع احسانه مناولا اذي (واحضر) الهرمزان
بين يدي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام فابى
فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين قبل ان تقتلني اسقني شربة من الماء ولا تعتلني
ظمأ فامر عمر بقدح مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتى
اشربه قال نعم لك الامان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراعه ثم قال الوفاء
يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتى انظر في امره فلما وقع السيف عنه قال
اشهد ان لا الا الله وان محمدا رسول الله قال عمر لقد اسلمت فما اخرك قال خشيت ان
يقال اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه
من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش الى ارض فارس ويعمل
برأيه اه (ومما ذكر) عبد الملك بن يدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما
وقع لحيلة بن الاسهم حين اطعم الفزاري على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر رضي الله

عنه دعه يقتص منك اوماهذا فقال لعمر وهل استوي انا وهوفى ذلك فقال له نعم
الاسلام ساوى بينكما فقال اجائى الى غد فلما اصبح مضى الي قيصر ملك الروم
وارتد ثم ندم وقال

تنصرت الاشراف من اجل لطمه ... وما كان فيها لوصبرت لها ضرر
تكنفنى منها لجاج ونحوه ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيالليت امى لم تلدنى وليتنى ... رجعت الى الامر الذى قاله عمر
ويالليتنى ارعى المخاض بقفرة ... وكنت اسيرافى ربيعة اومضر
ويالليتنى بالشام ادنى معيشة ... اجالس قومى ذاهب السمع والبصر

(ولما) تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل باموال
والضياع ثم ان عمر رضي الله عنه بعث رسولا الي قيصر يدعوه الي الاسلام اوالجزيه
فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول القيت عمك يعني جبلة الذي اتى نارا غبا فى ديننا
قال لا قال فالقه ثم ائتني قال فذهب الي دار جبلة فاذا عليه من الفخامة والحجاب
البهجة وكثرة الجمع مثل ماعلى باب هرقل قال فلم ازل اتلطف بالاذن حتى اذن لى فدخلت
عليه فرأيته قاعدا على سرير من قوارير على قوائمه اربعة اسود من ذهب فلما عرفنى
رفعني معه على السرير فجعل يسألني عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت له قد اضعفوا
اضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرايت النعم فى
وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى اكرمناك
بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم
ولكن نق قلبك ولا تبال على ماقعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه
فقلت ويحك ياجبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال ابعدما كان منى قلت نعم
قد فعل رجلا من فزارة اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف
ثم رجع الي الاسلام لان الرجل الذى كان تنصر جبلة من اجله لما لطمه واراد عمر ان
يقتص منه كان فزاريا ايضا فقلت له ان امرك اخف من امره ان رجعت الى الاسلام
فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ان كنت تضمن لي عمر ان يزوجنى
ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الي الاسلام فضمنت التزويج ولم اضمن له تولية الامر
ثم اومأ الى خادم كان على رأسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق

بساط اما فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت
يدي وقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة
قال نعم نهي صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فاكل فى
الذهب وأكلت اما فى الخلنج ثم دعا بطشوط الذهب وابار يق الفضة ففسل يديه
فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اومأ الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا
فاذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن
شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب فقعدت عن يمينه وعن يساره على
تلك الكراسى ثم جاءت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على رأسها تاج وعلى ذلك
التاج طائر لم ارى أحسن منه وفى يدها جامه فبها مسك فتيت وفى يدها الاخرى
جامه فيها ماء ورد فاومات تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى
جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم صفرت به ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب
فيها ثم اومأت اليه فطار ثم نزل على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتي
نفض ما فى ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت
الى الجوارى واتى على يمينه فقال لهن اضحكنا فاندفعن يغنين فجعلن يحققن

عيدانهن ويقلن ... لله در عصابة نادمتهم ... يوما بحلق فى الزمان الاول
الي قوله أولاة جفنة حول قبر ابيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد قبر بص المبارك عليهم وا ... برد يصفق بالرحيق السلسل

فضحك جبلة ثم قال اتدرى من يقول هذا ملت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبي
ثم اشار الي الجواري اللواتى عن يساره وقال ابكينا فاندفعن يغنين ويحققن

عيدانهن ويقلن لمن الدار أقفرت بمان ... بين أعلى البرموك فالجمان
ذاك معنا لال جفنه فى الدهر ... وحنق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سال دمعه على لحيته ثم قال اتدري من يقول هذا قلت لا قال
حسان ثم انشد الابيات التى اولها * تنصرت الاشراف الى آخرها ثم سألني عن
حسان احى قلت له نعم فامر له بكسوة وانا يضا كذلك ثم امر الحسان بمال ونوق
موقورة براثم قال لى ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرأه منى السلام وان وجدته
ميتا فادفعها الي أهله وانحر النوق على قبره قال فلما اخبرت عمر رضى الله عنه بخبره

وما اشترطه على وماضمنته له قال فهل لا ضمنت له الا سرة فاذا افاماالله بحكمه وقضى
علينا بحكمته ما كان الا ما أراد ثم جهزني ثانيا الي قرقل وأمرني ان اضمن له ما اشترطه فلما
دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته (وقيل) انه قدم اهل
الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن ابي وقاص فقال من يعزرني
من اهل الكوفه ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوي فجروه فقال له المغيرة بن
شعبة يا أمير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوي الفاجر لك بقوته
وعليه فجوره قال صدقت انت القوى الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم ايام عمر وعثمان
ومعاوية حتي مات (وقيل) دخل عمر بن معد يكرب الزبيدى على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال عمر اخبرني عن أجبن من لقيت وأحيل من لقيت وأشجع من لقيت
قال خرجت مرة اريد الغار فبينما انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل
جالس كاعظم ما يكون من الرجال خلقا وهو يجمل بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك
فاني قاتلك فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معد يكرب الزبيدي فشهق شهقة فمات
فهذا اجبن من رأيت وخرجت مرة حتى انتهيت الي حي فاذا انا بفرس مشدود
ورمح مركوز واذا صاحبه في وهده يقضي حاجته فقلت خذ حذرك فاني قاتلك قال
وما انت فاعلم ته بي فقال يا أبا ثور ما أنصفني اعطني عهدا انك لا تقتلني حتى اركب
فرسي مثلك فاعطيته عهدا فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتبي بحمائل سيفه وجلس
فقلت ما هذا فقال ما اذا بر اكب فرسي ولا انا بمقاتلك فان نكثت عهدك فانت اعلم
بناكث العهد فتركته وغضبت فهذا احيل من رأيت وخرجت حتي انتهيت الى
موضع كنت اقطع فيه الطريق فلم ار احدا فجريت فرسي يمينا وشمالا واذا انا بفارس
فلما دنا مني فاذا هو علام حسن نبت عذاره من اجمل ما رايت من الفتيان واحسنهم
واذا هو قد اقبل من نحو اليمامة فلما قرب مني سلم علي فرددت عليه السلام وقلت من الفتى
قال الحارث بن سعد فارس الشهباء فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال الويل لك
فمن انت قلت معدبن يكرب الزبيدى قال الذليل الحقير والله ما يمنعني من قتلك الا
استصغارك فصاعرت عن نفسي يا أمير المؤمنين وعظم عندى ما استقبلني به
فقلت له دع هذا وخذ حذرك فاني قاتلك والله لا ينصرف الا أحدنا فقال اذهب

ثكلتك امك فانا من اهل بيت ما ملكا فارس قط قال هو الذى تسمعه قال اختر
لنفسك فاما ان تطرد لي او اما ان اطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لى فاطرد وحملت
عليه فظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف على
فقنع بالقناة رأسي وقال خذها اليه واحدة ولولا اني اكره قتل مثلك لقتلتك قال
فتصاغرت نفسي عندى وكان الموت احب الى مما رايت فقلت له والله لا ينصرف الا
احدنا فعرض مقاتلته الاولى فقلت له اطرد لى فاطرد فظننت اني تمكنت منه فاتبعته
حتى ظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب من فرسه فاذا هو صار لبدا لفرسه ثم
عطف على فقنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك ثانية فتصاغرت على نفسي جدا وقال
والله لا ينصرف الا احدنا فاطرد حتى ظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب من
فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوي على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة راسي وقال
خذها اليك ثالثة ولولا كراهتي لقتلي مثلك لقتلتك فقلت اقتلني احب الي ولا تسمع
فرسان العرب بهذا فقال يا عمر وانما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك في الرابعة
قتلتك وانشد يقول وكدت اغلاظا من الايمان ان عدت يا عمر والى الطغيان
لتجدن لهب السنان أولا فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لي اليك حاجة قال وما هي قال اكون صاحبك قال
لست من اصحابي فكان ذلك اشد علي واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتى قال
ويحك اتدري اين اريد قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عيانا قلت اريد معك
قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضي شطره فوردنا على حي من احياء
العرب فقال لي يا عمر وفي هذا الحي الموت الاحمر فاما ان تملك على فرسي فانزل واتى
بحاجتي واما ان تنزل وامسك فرسك فتأتيني بحاجتي فقلت بل انزل انت اخبر
بحاجتك مني فرمى الى بعنان فرسه ورضيت بان اكون له سائسا مضى ثم الى قبة فاخرج
منها جارية لم ترعيناى احسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقته ثم قال يا عمر وفقلت
لبيك قال اما ان تحميني واقود الناقة واحميك وتقودها فقلت احمني انت فرمى الى
بزمام الناقة ثم سرنا حتي اصبحنا قال يا عمر وقلت ما شأنك قال التفت فانظر هل ترى
احدا فالتفت فرايت رجالا فقلت اغذ السير ثم قال يا عمر وانظر ان كانوا قليلا فالجلد

والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليسوا بشيء فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال اغذ السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن اقرب فقال يا عمر وكن عن يمين الطريق ووقف وحول وجهه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منه واذا هم ثلاث نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن اخي فقال ما كنت لاجلبها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد بنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارس وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الرابل ... من فارس ملتم مقاتل

ينمى الى شيبان خير وائل ... ما كان يغرى نحوها بباطل

ثم شد عليه بطعنة فدمنها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الآخر اخرج اليه فاقبل الحارس وهو يقول

لقد رأيت كيف كانت طعنتي ... والطعن للقوم الشديد الهمة

والموت خير من فراق خلتي ... فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم سند عليه بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن طعنة يا ابن اخي فاني لست كمن رأيت فقال لا فقال الشيخ يا ابن اخي اخترلنفسك فان شئت تأزلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى فنزل الشيخ وهو يقول

ما ارتجي عند فناء عمر ... سأجعل التسعين مثل شهر

تخافني الشجعان طول دهري ... ان استباح البيض قعص الظهر

فاقبل الحارس وهو ينشد ويقول

بعدار تحالي ومطال سفري ... وقد ظفرت وشفيت صدري

فالموت خير من لبا الغدر ... والعار اهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربني ان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى وقال انا ابدا فقال والشيخ هات فرفع الحارس يده بالسيف فلما نظر الشيخ انه قد هوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة فقدمنها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ فسقطا ميتين فاخذت اربعة افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الى الناقة فقالت الجارية

يا عمر والى اين ولسنا باصحاب ولست كمن رأيت فقلت اسكتي فقالت ان كنت لي صاحبا فاعطني سيفا اور محافان غلبتني فانا لك وان غلبتك فتلك فقلت ما انا بمط ذلك وقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم اقبلت تقول ... ابعد شيخي ثم بعد اخوتي ... بطيب عيشي بعدهم ولذتي

واصحبن من لم تكن ذاهمة ... هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم هودت الى الرمح وكادت تنزعه من يدي فلما رأيت منها ذلك خفت ان ظفرت بي فقتلتني فقتلتها فهذا اشجع من رأيت (قيل) اتى رجل الى عمر بن الخطاب يستحمله فقال له خذ ذلك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت اقوى منك من احد قال نعم خرجت بامرأة من اهلي اريد بها ازواجها فنزلت الى حوض فاقبل رجل معه دود فضرب ذودة الى الحوض فساور المرأة فنادتني فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ رأسي بين عضديه وجنبه فما استطعت لتحرك حتى قضى وطره منها فقالت اي فحل هذا فما مهلته حتى امتلا نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فنبه فتناول رجله فرماني بها فاخطأني واصاب راس بعير فقتله فقال عمر رضي الله عنه ما فعلت بالمرأة فقال هذا حديث الرجل فكرر عليه السؤال فلم يزده فظن انه قتلها (ويحكى) ان عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها ولم يتمن منها خوفا من زوجته فمضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت افعلتها قال الما كن فاعلها قالت اقرأ فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال

علمت بان وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرين

وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمين

وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الاله مسومين

قال صدقت وكذبت عيناي قال فذهبت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت اه

اول دولة بني امية معاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنهما

جلس يوما في مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربعة يدخل

فيه النسيم من كل جانب فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر وكان وسط النهار وقد لفحت الجواهر اذ نظر الي رجل يمشي نحوه وهو يتلظى من حر التراب و يحجل في مشيته حافيا فتأمله وقال اجاسائله هل خلق لله اشقي ممن يحتاج الى الحركة في هذا الوقت فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدي لاجل شيء لاعطيته او مظلوما لانصرته ياغلام قف الباب فان طالبني هذا الاعرابي فلا تمنعه من الدخول على فخرج فوقاه فقال ماتريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذي جاءك في هذا الوقت قال جئتك مشكيا و بك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم وانشد

اتيتك لما ضاق في الارض مذهبي ... فياغوث لاتقطع رجائي من العدل
وجدلي بانصاف من الجائر الذي ... بلاني بشيء كان ايسره قتلي
سباني ابن سعدي وانبري لخصومتي ... وجار ولم يعدل واغضبني اهلي
وهم بقتلي غير ان منيتي ... تأنت ولم استكمل الرزق من اجلي

فلما سمع معاوية كلامه قال له مهلا يا اخي العرب اذكر قصتك وابن لي عن امرك فقال يا امير المؤمنين كانت لي زوجة وكنت لها محبا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لي جذعة من الابل كنت استعين بها على قوام حالي وكفاية اودي فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقيت لا املك شيئا فلما قل ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت معها ثقيلا على الذي بالفتى وابعدني من كان يشتهي قربي فلما علم ابوها ما بي من سوء الحال شرا لما كل اخذها مني وجحدني وطردني فأتيت الي عامل مروان بن الحكم لنصرتي فلما احضرا باها وسأله عن حالي فقال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامير ان رأي ان يحضرها ويسألها عن قولها بها فعل فلما حضرت وقعت منه موقع الاعجاب فصاولي خصما وعلى منكرا واظهر لي الغضب و بعث بي الى السجن فبقيت كانها خررت من السماء واستهوت بي الريح في مكان سحيق ثم قال لا بيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة آلاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابي فرغب ابوها في البذل واجابه الي ذلك فلما كان من الغد بعث الي واحضرني وقال طلق سعادا فقلت لا فسلط على جماعة من غلمانه فاخذوا يعذبوني فلم اجدلي بدا ففعلت فاعادني الى السجن فمكثت فيه

الى ان انقضت عدتها فتزوجها واطلقني وقد أتيتك راجيا وبك مستجيرا واليك ملتجأ وأنشد في القلب مني غرام للنار فيه استعار والجسم مرمى بسهم فيه الطبيب يحار
وفي فؤادي جمر والجمر فيه شرار والعين تهمال دمعا فدمعها مدرار
وليس الا بربي وبالامير انتصار

ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مشيا عليه واخذ يتلوى كالحية فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى بن الحكم في حدود الدين وأظلم واجترأ على حرم المسلمين ثم قال لقد أتيتني يا اعرابي بحديث لم أسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب لي مروان بن الحكم كتابا يقول فيه . انه قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين و ينبغي لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته و يزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعد كلام طويلا اختصرته وأنشد يقول

وليت امرا عظيما لست تدركه ... فاستغفر الله فعل المرء زاني
وقد أتانا الفتى المسكين منجحبا ... يشكوا الينا بث ثم احزاني
اعطي الاله بميني لا يكفرها ... شيء وأبرا من ديني وايماني
ان انت خالفتني فيما كتبت به ... لاجعلنك حما بين عقبان
طلق سعادا وعجلها مجهزة ... مع الكميت ومع نصر بن ذبيان

ثم طوى الكتاب واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى دخل المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ و يبكي ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر ابن ذبيان وجهزها وصحبتهما ثم كتب مروان كتابا يقول فيه

لا تعجلن امير المؤمنين فقد ... أوفى بنذرك في سر واعلان
حبن وما اتيت حراما عجبني ... فكيف ادعى باسم الخائن الزاني
اعذر فانك لو ابصرتها لجرت ... فيك الاماني على تمثال انسان
سوف يأتيك شمس ليس يدركها ... عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الي معاوية وسلما اليه الكتاب

فقرأه وقال لقد أحسنت فى الطاعة واطنب فى ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما رآها رأى صورة حسناء لم ير أحسن منها تخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال على بالاعرابى فاتى به وهو من تغير الحال فقال يا اعرابى هل لك عنها من سلوة واعوضك عنها ثلاث جوار نهدا بكار مع كل جارية الف دينار واقسم لك فى بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شوق شهقة ظن معاوية انه مات بها فقال له معاوية ما بالك فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد

لا تعاني فداك الله من ملك ... كالمستجير من الرمضاء بالنار
ارسعاد على حيران مكتئب ... يمسى ويصبح فى هم وتذكار
اطلق وثاقى ولا تبخل على بها ... فان فعلت فانى غير كفار

ثم قال يا أمير المؤمنين لو أعطيتنى الخلافة ما اخذتها دون سعاد وانشد يقول

ابى القلب الا حب سعد ... وبغضة على نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاوية انت مقر على انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك تزوجناها وان اختارت حولناها اليك فقال افعل فقال ما تقولين يا سعاد ايما احب امير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره وسلطانه واموال ومن بصرتيه عنده او مروان ابن الحكم فى نفسه وجوره او هذا الاعرابى فى جوعه وفقره فانشدت هذا

وان كان فى جوع وضرار ... اعز عندى من قوى ومن جارى
وصاحب التاج او مروان عامله ... وكان ذى درهم عندى ودينار

والله يا امير المؤمنين ما انا بخازنته لحادثة الزمان وغدرات الايام ولى له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وانا احق من ان يصبر معه فى الضراء كما انعمت معه فى السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها ووفائها فدفع لها العشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابى واخذها وانصرف (ومن ثمرات الاوراق) عن الاجوبة الهاشمية وبلاغتها فى المحل الرفيع انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد ابن عقبة وعتبة بن ابى سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا امير المؤمنين ابعث الى الحسن

ابن على يحضر لدينا فقال لهم ولم قالوا كى نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه وان تنصفوا منه ولا تقولوا له شيئا الا كذبكم فأرسل معاوية فلما حضر يقول لكم ببلاغته شيئا صدقت الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه يا حسن انى لم ارسل ولكن هؤلاء ارسلوا الك فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضى الله عنه فليتكلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا حسن هل تعلم ان اباك اول من آثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله تعالى به ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا بنى هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد اردنا قتل ابيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه لما كان علينا ذنب ثم قال عتبة بن ابى سفيان فقال اياحسن ان اباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبها الله منه ولقد اردنا قتل ابيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة وقال كلاما سالما وتظلما ثم قام الحسن رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه وقال بك ابدا يا معاوية لم يشتمنى هؤلاء ولكن انت شتمتنى بغضا وعداوة وخلافة لجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال انشدكم ان الذى شتمته هؤلاء اما كان ابى وهو اول من آمن بالله وصلى الى القبلتين وانت يا معاوية كافر تشرك بالله وكان مع ابى لواء النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين معك ثم قال انشدكم الله اما كان معاوية يكتب لجدى محمد صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول وهو يأكل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه اما تعرف ذلك من بطنك ثم قال وانشدكم الله الا تعلمون ان معاوية كان يقود بابيه وهو على جمل واخوه هذا يسوقه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما قال وانت تعلم ذلك اما انت يا عمر وفقد تنازعك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الابهم وهو اقلهم حسبا واسوأهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت انى شانئ محمد بثلاثين يوما من الشعر فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى لا احسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت لبنة ثم انطلقت الى النجاشى بما عملت وعلمت فكذبك وردك خائبا فانت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والاسلام فلا نلومك على بغضك

الآن واما انت يا ابن ابى معيط فكيف نلومك على سبك لابى وقد جلدك انى في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك صبرا بامر جدى وقتله جدى بامر ربى ولما قدمه للقتل قال من المصيبة بعدى يا محمد فقال جدى لهم النار فلم يكن لهم عندي غير النار ولم يكن لهم عند ابى غير السوط واما انت يا عتبه فكيف تعيب احدا بالقتل ولا تعيب نفسك فلم لا قتلت الذى وجدته على فراشك مضاجعا لزوجتك ثم امسكتها بعد ان بغت واما انت يا اعور ثقيف ففى اي شيء تسب عليا الي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام الحاكم جائر فى رعيته فى الدنيا فان قلت فى شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها اسكتى فانى اريد ان اطير فقالت لها ما علمت بوقوعك فكيف بشق على طيرانك فكيف يا اعور ثقيف يشق علينا سبك ثم نهض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم اقل لكم لا تنصفون منه فوالله لقد اظلم على البيت حين قال (وروي) ان معاوية خرج يوما حاجا ثم بالمدينة ففرق على اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر الحسن بن على فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل تركنا حتي نفذ ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال الحسن رضى الله عنه كيف ينفذ ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له قد امرت لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وانا ابن فاطمة الزهراء وقيل ان معاوية جلس يوما مع اصحابه اذا قبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم واتونى باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا امير المؤمنين احدهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا يأتونا واما اهل اليمن فينزلون فى اماكنهم الي ان تأذن لهم فى الدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال اتدرون يا اهل قريش لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا قال لانهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم وانى اريد اذا دخلوا غدا واخذوا اماكنهم من المجلس ان اقيم فيهم نذيرا والقى عليهم من المسائل ما اقل به اكرامهم وارخص به مقامهم وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الطرماح بن الحكم الباهلى فاقبل على اصحابه وقال اتدرون يا اهل اليمن لم اخركم بن هند وقدم قريشا قالوا لا قال لانه فى غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقي عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم

فاذا دخلتم عليه واخذتم اماكنكم من المجلس وسالكم عن شيء فلا يجيبه احد غيري فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال ايها الناس من تكلم فالعربية قبل العرب وعلى من انزلت العربية مقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا امير المؤمنين فقال لم اذا فقال لانه لما نزلت العرب بيابل وكانت العبرانية لسان الناس كانه رسل الله تعالي العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلى وهو جدنا فقر العربية وتداولها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يا معاوية عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال ايها الناس من اقوي العرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجهلتموه مجنونا فاويناه ونصرناه فانزل الله (والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) وكان النبي صلى الله عليه وسلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم تعمل انت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع رأسه وقال ايها الناس من افصح العرب لسانا ومن شهد بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان امرأ القيس بن حجر الكندي قال فى بعض قصائده

يطعمون الناس غبا * فى السنين الممحلة * فى جفان كالجوابى * وقدور راسيات

وقد تكلم بالفاظ جاء مثلها فى القرآن وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا وقال ايها الناس من اقوي العرب شجاعة واذكرو امن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان مناعمرو بن معديكرب الزبيدى كان فارسا في الجاهلية وفى الاسلام شهد له بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاوية واين انت وقد اتى به مصفدا بالحديد فقال له الطرماح ومن اتى به قال معاوية اتى به على قال الطرماح والله لو علمت مقداره لسلمت اليه الخلافة ولا طمعت فيه ابدا فقال له معاوية أتحجى يا عجوز اليمن قال نعم احجك يا عجوز مصر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت بنبيها سليمان بن داود عليه السلام وعجوز مصر جدتك التى قال الله فى حقها (وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) قال فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خيرا من صاحب واعطاه وأحسن اليه انتهى

حكاية اجنبية عن المقام) يحكى ان بهرام لما ولي الملك بعد ابيه أقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد ولا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خربت البلاد من يده وخربت في ايامه وخلت بيوت الاموال ففي بعض الايام ركب الي بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذان وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصاري لامر خطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا في سيرهما بين خرابات كانت امهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا انيس فيها الا اليوم واذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اترى ان احدا من الناس اعطى فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل فقال الموبذان ايها الملك انا ممن خصه الله بذلك قال فاذا يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال هذا بوم ذكر يخاطب بومة ويقول لها متعيني بنفسك حتى يخرج من بيننا اولادا يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فقالت ان الذي تدعونني اليه لي فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في العاجل والآجل الا اني اشترط عليك خصالا ان اعطيتها اجبت الي ذلك فقال لها اذكر وما تطلبينه مني قالت ان تعطيني من خرابات الضياع عشرين قرية مما خربت في ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك ما الذي قال لها الذكر قال من قوله لها اذا دامت ايام هذا الملك السعيد اعطيك منها الف قرية خراب فما تصنعين قالت في اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكور فقطع لكل واحد من اولادنا ضيعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا أسهل امر سألتنيه وانا ملىء بذلك ماحيا هذا الملك فلما سمع هذا الكلام من الموبذان تأثر في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذان فقال ايها القائم بامر الدين الناصح للملك والمنبه له عما أغفله من امور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ماهذا الكلام الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكنا فقال صادقت من الملك السعيد وقت سيد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظة على لسان عند سؤال الملك اياي عما سأل فقال له الملك ايها الناصح اكشف لي عن هذا الغرض ما المراد منه فقال ايها الملك ان الامر لا يتم الا بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجل الا بالمال ولا سبيل للمال الا

بالعمارة ولا سبيل للعمارة لا بالعدل وهو الميزان المنصوب بين يدي الخليفة نصبه الرب جل وعلا وجعله نبيا وهو الملك فقال اما ما وصفت فحق فابن لي عما اليه تقصد واوضح لي في البيان قال نعم انك عمدت الى الضياع فاقطعتها الخدم وأهل البطالة فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا من المنفعة وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسوحوا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على الراعية فانجلوا عن ضياعهم وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من طاف بها من الملوك والامم ليعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك اقام في منزله ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتباء وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واختصبت وكثرت الاموال عند الجبابرة وقويت الجنود وانتظمت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل

(حكاية اخري اجنبية) حكى عن الاصمعي انه قال دخلت البصرة اريد بادية بني سعد وكانت على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسر فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وادب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة في منزلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال له ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني الشره في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي (وما الله بظلام للعبيد) فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤوس الاشهاد قد رانى وانا ما ظننت سارقا وان لك قصة غير السرقة فاخبرني بها فقال ايها الامير لا يقع في نفسك سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فامر خالد بحبسه وأمر مناد

ينادي في البصرة الامن احب ان ينظر الى عقوبة اللص فلان وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى في الحبس ووضع رجليه في الحديد تنفس الصعداء وانشد يقول

هددني خالد بقطع يدي ... ان ألم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بما ... تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به ... اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فاتوا خالدا واخبروه بذلك فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه اديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به وامر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبهات تدرأ عنك القطع لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن فلما اصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وامر باحضار الفتى فاقبل يحجل في قيوده ولم يبق احد من النساء الا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالبكاء والنحيب فامر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ايها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لا حق فيه فغضب خالد وقام بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطي مناه ... ويأبى الله الا ما اراد

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبرزت جارية من صف النساء وعليها ازار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم وضعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها

اخالد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف الجوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يفترقه لانه ... رأي ذاك خير من هتيكة عاشق

فهلا على الصب الكئيب لانه ... كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سألها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها مكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احسوا بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوه لك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له ياشيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسألك ان تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا في الصواني وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد في سوق البصرة الا نثر عليهما الاوز والسكر حتى دخلا الى منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعي فما رأيت يوما اعجب منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح (وهذه حكاية تشابه ما تقدم) (قال حماد الرواية) كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذا اتاني بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير اني وجدت هذه وهذا مجتمعين في خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول صدق واقد طال والله غرامي بها منذ ثلاث سنين والله ما امكنني الخلوة بها الا في هذا الوقت وانشد يقول

تمنيت من ربي افوز بقربها ... فلما تهيا لي المنا عاقه العسر
فوالله بل والله ما كان ريبة ... وما كان الا اللفظ والضحك واليشر
فدونكم جلدي ولا تجلدونها ... فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكي ابكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكي فقالت والله شفقة مما حل به وكيف احتمال حتى حوجت وكيف بلينا بهذه البلية قال انجبتيه قالت

ينادي في البصرة الا من احب ان ينظر الى عقوبة اللص فلان وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى في الحبس ووضع رجليه في الحديد تنفس الصعداء وانشد يقول

هددني خالد بقطع يدي ... ان ألم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات انا بوح بما ... تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به ... اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فاتوا خالدا واخبروه بذلك فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه اديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به وامر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبهات تدرأ عنك القطع لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن فلما اصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وامر باحضار الفتى فاقبل يحجل في قيوده ولم يبق احد من النساء الا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالبكاء والنحيب فامر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ايها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد املك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلملك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لا حق فيه فغضب خالد وقام بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطي مناه ... ويأبى الله الا ما اراد

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومديده ووضع عليها السكين فبرزت جارية من صف النساء وعليها ازار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها اشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم وضعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها

اخا لد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحماليق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف الجوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يفترقه لانه ... رأي ذاك خير امن هتيكة عاشق

فمهلا على الصب الكئيب لانه ... كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سألها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها مكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما امسوا هم جمع فراش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوه لك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسألك ان تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذنا بيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا في الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد في سوق البصرة الا نثر عليهما الاوز والسكر حتى دخلا الى منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعي فما رأيت يوما اعجب منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح (وهذه حكاية تشابه ما تقدم) (قال حماد الرواية) كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتاني بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير اني وجدت هذه وهذا مجتمعين في خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول صدق والله طال والله غرامي بها منذ ثلاث سنين والله ما امكنني الخلوة بها الا في هذا الوقت وانشد يقول

تمنيت من ربي افوز بقربها ... فلما تهيا لي المنا عاقه العسر
فوالله بل والله ما كان ريبة ... وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدونكم جلدي ولا تجلدونها ... فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكي بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكي فقالت والله شفقة مما حل به وكيف احتمال حتى حوجت وكيف بلينا بهذه البلية قال انجبتيه قالت

فلم غررت بنفسي قال لها انت حرة ام مملوكة قالت بل مملوكة فامرها فدخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائة دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها فانشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة ... جمعت بها بين المحبين في ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ ... وقد جل ما كان منك عن الشكر

(في ايام دولة عبد الملك بن مروان) وهو أول من تسمى عبد الملك في الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره في حياة الحيوان وذكر محمد بن الهيتي ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الي الحجاج ابن يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته نسير لي ثلاث جوار مولدات نهدا بكارا اليهن المنتهي في الجمال واكتب بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين ثم امرهم بما امر به امير المؤمنين وامرهم ان يغوصوا في البلاد ففاصوا حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الي الحجاج بثلاث جوار نهدا بكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الي كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهم ثم كتب كتابا الي عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين متعني الله تعالي ببقائه يامرفيه ان اشتري له ثلاث جوار مولدات نهدا بكار وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولي اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في ظرفها دعج يزينها ... كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم * واما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القدر والكمال يشفي السقيم من كلامها الرخيم وثمنها يا ميرالمؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثالثة فانها فائزة الطرف لطيفة الكعف عظيمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها ثلاثون الف درهم وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد

ينوب عني فتأذن لي ان اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا في بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت ريح فانكشفت احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوبا فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فاتاها على غفلة وجعل يقول

امكتوم عيني لا تمل من البكا ... وقلبي باسهام الاسى يترشق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوي ... وقلبي رهين كيف اتشق
ليلا اذا هجعت عيون الحسد ... لوكان يحقا ما تقول لزرتنا

فاجابته تقول

فلما جن الليل انقض ابن النخاس بسيفه واتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها واراد الهرب بها فقطن اصحابه فاخذوها واوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الي ان قدموه الى عبد الملك لما قدموا بالجوارى بين يديه اخذ الكتاب وقرأه فوجد الصفة موافقة في اثنين ولم توافق في الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهي الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق الصفة التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفر الذي بها وهذا الانتحال فقال يا أمير المؤمنين نقول علينا الامان فقال ان صدقتم آمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي امير المؤمنين واخبروه بما فعل بكى بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشأ يقول

امير المؤمنين اتيت رغما ... وقد شدت الي عنقي يدايا
مقرا بالقبيح وسوء فعلي ... ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبي ... وان تعفوا فمن جود عليا

فقال يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوي للجارية قال وحقك يا امير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوي بالجارية فقال وهي لك بما اعدلها فاخذها الغلام بما اعده لها امير المؤمنين من الحلي والجمال وساربها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما اصبح الصباح واراد الناس الرحيل مروا عليهما فوجدا ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما في الطريق ومضي خبرهما الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك اه

(وهذه حكاية تشابهها في العشق) حكى عن عبد الله بن معمر القيسي انه قال

حججت سنة الي بيت الله الحرام ولما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة بين القبر والروضة اذ سمعت انينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

اشجاك نوح حمائم السدر ... فلنحن منك بلابل الصدر ... أم عز نومك ذكر غانية
اهدت اليك وساوس الفكر ... يا ليلة طالت على دنف ... يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من بهوي لحر جوي ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد اني كلف ... مغري بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني بها شجنا ... حتى بليت وكنت لا أدري

(قال) ثم انقطع الصوت ولم ادر ما جاءني فبقيت حائرا واذا به قد عاد البكاء والحنين وانشأ يقول هذه الابيات

اشجاك من رياخيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واقتاد مقلتك الهوي برسيسة ... واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كانه ... يم تلاطم فيه بحر زاخر
والبدر يسرى في السماء كانه ... ملك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ماله ... الا الصباح مساعد وموازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن ... ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهي الى آخر الابيات الا وانا عنده فرأيته غلاما سال عذاره وقد حرق الدمع في وجنتيه حرقتين فقلت نعمت غلاما قال وانت فنعم الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي قال ألك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فما راعني هذه الليلة الا صوتك فبنفسي افديك ما الذي تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة بن الخباب بن المنذر ابن الجموع الانصاري غدوت الي مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة يتهادين كالاقمار في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت على وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها على اثر فانا حيران اتنقل من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض

مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت ديباجتا خديه بورس ثم انشا يقول هذه الابيات

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة ... تري ترونى بالقلوب على بعد
فؤادى وطرفى يا سفان عليكم ... وعندكم بروحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى اراكم ... ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن اخى تب الى ربك واستقل عن ذنبك فان بين يديك هول المطالع فقال هيهات ما انا بسائل حتى يؤوب الفارظان ولم أزل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتي صلينا الظهر واذا بنسوة قد اقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة مابك قال وما بالها قلن اخذها أبوها وارتحل الى السما فسألتهن عن الجارية فقلن هي رية بنت الغطريف السلمى فرفع رأسه وأنشأ يقول

خليلى رياقد اجد بكورها ... وسار الى ارض السماوة غبرها
خليلى انى قد عيبت عن البكا ... فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة انى وردت عمال حزبل اريد به اهل الستر والله لا بذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا الي مسجد الانصار فقمنا حتى اشرفنا على مائهم فسلمت وأحسنوا الرد ثم قلت ايها الملا ما تقولون فى عتبة وأبيه من سادات العرب قلت فانه مرمى بداهية من الهوى فاريد منكم المساعدة الي السماوة قالوا سمعا وطاعة وركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حييتم يا كرام قلنا وانت حييت انا لك اضياف فقال نزلتم باكرم منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا فنزلت العبيد ففرشت الانطاع والتمارق وذبحت النعم والغنائم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضى حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا تخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الخباب ابن المنذر المعالى المفخر الطيب العنصر فقال يا أخى ان التى تخطبونها امرها الى نفسها وانا ادخل واخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الى ريا فقالت يا أبت مالى ارى الغضب بين عينيك فقال ورد لى قوم من الانصار يخطبونك منى فقالت سادات كرام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم امن الخطبة فيهم قال لغتى يعرف بعتبة بن الخباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه يفى بما وعد ويدرك ما طلب

قال اقسمت لا زوجنك به ابدا فقدنا الى بعض حديثك معه قالت ما كان ذلك ولكن اقسمت انى ما أزوجك به قالت احسن اليهم فان الانصار لا يردون ردا قبيحا فاحسن الرد قال بأى شيء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال احسن ما قلت ثم خرج صادرا فقال ان فتاة الحى قد اجابت ولكن اريد لها مثل مهرها من القائم به قال عبد الله انا فقال اريد لها الف اسور من ذهب احمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابرار والحبر وخمسة اكرشة من النبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله رجل من الانصار الى المدينة المنورة فاتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال أربعين يوما ثم قال خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف وانصرف وسرنا حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بنى سليم فحمل عليها عتبة ابن الخباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعا به طعنة ثم سقط الى الارض واتينا النجدة من مكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية تقول واعتبتا فالتفت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه الجارية وصارت تصيح وتقول

تصبرت لاني صابر وانما ... اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى ... امامك من دون البرية سابقه
فما احد بعدى و بعدك منصف ... خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة قضت نحبها واحترقنا لهما قبرا واحدا ووارينا هما التراب ورجعت الى ديار قومى واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز واردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لا عودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به (ومثل ما تقدم من العشق ما ورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند اعلانه) ما حكى عن بعض المغرمين من ذوى النعم قال بينما انا فى منزل اذ دخل على خادم لى ومعه كتاب فقام رجل بالباب ودفع الى هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء ونلت خيرا ... ونجاك المليك من الهموم

فعندك لو مننت شفاء نفسي ... واغضاء تضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم ائتنى به نخرج ولم ير احدا فتعجبت من امره وأحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتنى عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت انى لم افعل ذلك بخلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهى هبة منى له بماله ومائة دينار وكتبت جوابه أشكره على ذلك وأسأله قبولها ووضعت الكتب فى جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فليأخذه فمكث الكتاب والذهب اياما لا يأخذه احد فمنعنى ذلك هذا قنع ممن يهمه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائهم بعث به اليك فقلت اخرج وائتنى به نخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه ماذا أتيت روح معلقة ... عند التراقى وحاد الموت حاديها
حثثت حاديها ظالما فجد بها فى ... السير حتى تخلت عن نرافيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة ... وان عقابك دنيا وما فيها
لقلت لا والذى اخشى عقوبته ... ولو باضعاف ما كنت آتيها
لولا الحياء لبعنا بالذي سكنت ... بين الفؤاد وأيدينا اماتها

قال فمنعنى امره فقلت للخادم لا يأتيك احد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحج فبينما انا قد انفضت من عرفة واذا فتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به فقال أتعرفنى فقلت وما انكرك بسوء فقال انا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت يا اخى لقد غمنى أمرك وأقلقتنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما آتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له أما اذا أبيت فعرفنى من هى من الجوارى لاكرمها من اجلك ما حييت فقال ما كنت لاسميها لاحد ودعنى وانصرف وكان آخر العهد به انتهى

(وحكى) ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقى اعرابيا فقال له يا وجه العرب

كيف الحجاج قال ظالم غاشم قال هل لا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال اظلم وأغشم عليها لعنة الله فبيناهو كذلك تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابي انه الحجاج فقال الاعرابي ايها الامير السر الذي بيني و بينك لا يطلع عليه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف (وذكر) اهل التاريخ ان الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال يا خالد ائتني بمحدث المسجد والناس اذذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهي الى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال اجب الامير قال ابعث الامير الي قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الي الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال كما تحب انشاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل تروى شيئا من الشعر قال ما من شاعر الا واروعه قال فهل تعرف من انساب العرب ووقائعها نال لا يذهب عني شيء من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما احب حتى اذن لهم بالانصراف قال يا خالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة واربعة آلاف درهم فقال اصلح الله الامير بقي من حديثي اظرفه واعجبه فعاد الحجاج الى مجلسه وقال حدثني فقال اصلح الله الامير هلك والدي وانا طفل صغير فنشأت في حجر عمي وله ابنة بسني وكان في التصابي من الصبا وما كان فيه اعجوبة حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها اموالا جما لها وكمالها فلما رأيت ذلك خامرني السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت الى خابية عظيمة فملاتها رملا وصخرا وقبرت راسها ودفنتها تحت فرشي فلما تم على ذلك ايام بعثت الى عمي فقلت يا عمي اني كنت اريد السفر فوقعت على مال عظيم وخشيت ان اموت ولا يعلمه احد فان حدث بي امر فاخرجه واعتق عني عشر نسمات واحجج عني عشر حجج وجهز عني عشر رجال بخيولهم واستحثهم وتصدق عني بالف دينار ولا تبال يا عم فان المال كثير فلما سمع مقالتي اتى امرأته فاخبرها بقولي فما كان اسرع من ان اقبلت بجواريها حتى دخلت فوضعت يدها على رأسي وقالت والله يا ابن اخي ما علمت بسقمك وما حل حتى اخبرني ابوفلان الساعة واقبلت تلاطفني وتعالجني بالادوية وحملت لي لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رايت ذلك تحاماتها ثم بعثت الي عمي ان الله عز وجل قد احسن الي وعافاني فابتغ لي جارية من خمالها وكمالها كيت وكيت ولا

اسألونك شيئا الا اعطيته فقال يا ابن اخي ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هي من عز خلق الله تعالى على الا اني قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان لامتناع كان من قبل امها وهي الآن سمحت ورضيت بذلك فقلت شأنك فرجع الي امرأته فاخبرها بقولي فجمعت عشيرتها فزوجوني اياها فقلت عجل على بابنة عمي كيف شئت ثم اوريك الخابية فاهدية الى لم تدع شيئا يصنع باشراف النساء الا فعلته ثم زففنا ابنتها علي واحضرتها بكل ما وجدت اليه سبيلا واخذ عمي متاعا من التجارة بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا في كل صباح من قبل ابويها لطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بايام اتاني عمي وقال يا ابن اخي انا قد اخذنا من التجارة متاعا بعشرة آلاف درهم وليس اصابرين على حبس الثمن قلت شأنك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا عليها الى منزلها فلما فتحها كان فيها ما علمت فما كان باسرع من ان جاءت امه بجواريها فلم تدع في منزلي كثيرا ولا قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وحفتنا كل الحفاء فهذا حالي اصلح الله الامير فانا من خجلي وضيق صدري آوي الى المساجد فقال الحجاج يا خالد مر الفتى بثياب ديباج وفرس ارمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم وقال يا فتى اعد الى خالد غدا حتى تستوفي منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج قال فلما انتهيت الى باب داري سمعت ابنة عمي تقول ليت شعري ما ابطيء يا ابن عمي اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمي ابشري وقري عينا فاني دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امري فلما سمعت الفتاة مقالتي لطمت وجهها فسمع ابوها وامها واخواتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك ولا جزاك عني وعن ابن اخيك خيرا جفوته وضيعته حتى اصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخي ما حالك فقلت والله ما بي من بأس الا اني دخلت على الحجاج وذكر له من امره ما كان وانه امر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته هذه مرة صفراء تأثرة فبانو يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج فجعل يعالجه يسعطه مرة ويسهله اخرى فيقول الفتى والله ما بي من بأس وانما ادخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما راى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده كشفا عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول في الحجاج ما رأيته ثم خرج المعالج فقال لهم قد

ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقي الفتى مقيدا مغلولا فلما كان بعد ايام ذكره الحجاج فقال ياخالد ما فعل بالفتى فقال اصلح الله الامير ما رأيته منذ خرج من حضيرة الامير قال فابعث اليه احدا قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسي على عم الفتى فقال له ما فعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن اخي لفي شغل عن الحجاج قد ابتلي ببلاء في عقله قال لا ادري ما تقول لا بد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن اخي ان الحجاج قد بعث في طلبك افاحملك قال لا الا بين يديه فحمله في قيوده وحمله على ظهور الرجال حتى ادخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال اصلح الله الامير ان آخر امري اعجب من أوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال يا خالد اضعف للفتى ما كنا قد امرنا له فقبض المال اجمع وحسن حاله ولم يزل مسافرا للحجاج حتى مات (وحضر) اعرابي عند الحجاج فقدم له الطعام فاكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها وبقي الاعرابي ينظر الي الحجاج مدة والى الحلوي مرة ثم قال ايها الامير أوصيك باولادي خيرا ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وامر له بصلة (وحكي) ان الحجاج امر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم اثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم من انتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي اليه الرقاب صاغرة ... يأخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب امير المؤمنين وقال الثاني

انا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى النار افواجا الي ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

انا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه ... وقومها بالسيف حتى استقامت
ركابه لا تنفك رجلاء منهما ... اذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فامسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما رفع امرهم الحجاج فاحضرهم وكشف

عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثاني ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب والله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ... يغنيك محمود عن النسب
ان الفتى من يقول ها انا ذا ... ليس الفتى من يقول كان ابي

وقيل امر الحجاج بقتل اسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل ياحجاج انا كنا اساة في الذنب فما احسنت في العفو والله تعالي يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله في الكفار فكيف بالمسلمين وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم ... اذا ثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج اف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا بقيتهم (قال الراوي) ولما ولي الحجاج العراق قال علي بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالامس في وقعة ابن الزبير محرضين الناس على قتل رجالي ونهب اموالي قالت نعم قد كان ذلك يا حجاج فالتفت الحجاج الي وزرائه وقال ما ترون في امرها فقالوا عاجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال ما اضحكك قالت وزراء اخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم في موسى فقالوا ارجه واخاه اي انظره الي وقت آخر وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلي فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها (وحكي) ان هند بنت النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوجها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المرة وكانت هند فصيحة ادبية فاقام بها الحجاج بالمرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الي العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية ... سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت فحلا فلله درها ... وان ولدت بغلا فجاءت به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد

الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليها فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التي كانت لك قبله فقالت علم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا ثم بنا فما ندمنا وهذه المائتا الف هي لك بشارتك بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها خطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء بحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين اني لا اجري العقد الا بشرط فان قلت الشرط اقول ان يقود الحجاج جملي من المعرة الى بلدك التي انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحلتيه التي كان فيها اولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت في محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترجل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فأخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتي اكشفي لي ستار المحمل لاشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها في وجهها فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكي يا هند يا رب ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته

وما نبالي اذا رواحنا سلمت ... بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع ... اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت الى بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل هو دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله منه دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا

ثم دخل بها على الملك بن مروان فتزوج بها (قال) عون بن ابي شداد العبدي بلغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل في طلبه فلما حضر ومثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقي بن كثير قال بل امي كانت اعلم باسمي منك قال شقيت انت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك لابد لنك بالابنا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال فما قولك في علي افي الجنة ام في النار قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فأيهم احب قال ارضاهم للخالق قال فأيهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال ايضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار قال فما لنا نضحك قال لو تستوي القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفدي به من فزع يوم القيامة فصالحا ولا فقزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولا خير في شيء جمع الدنيا الا ماطاب وزكا ثم دعا الحجاج بالات اللهو فكسرها سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اختر أي قتلة تريد قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال افتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله قبلي واما انت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده وقال ما اضحك قال عجبت من جراءتك وحلم الله عليك فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوا قال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) فان وجهوه غير القبلة قال سعيد (فاينما تولوا فثم وجه الله) فقال كبوه لوجهه فقال سعيد (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) فقال الحجاج ان يحبوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على احد بعدي فذبح على النطع رحمه الله تعالى فكان رأسه بعد قطعه يقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضي الله عنه تسعا واربعين سنة والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الله بن مروان

كان يختم القرآن في ثلاث وكان يختم في رمضان سبعة عشر ختمة قال ابراهيم بن علية كان

يعطيني اكياس الدنانير اقسمها في الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط في كتابه العزيز ما ظننت ان احدا يفعله قال الحافظ ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام افضل من خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفوض للمجذومين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مقعد خادم وكل اعمى قائدا وذكر ان كل جملة ما انفق على المسجد الاموى اربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناؤه الا اخره سليمان لما ولي الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال لما ادرج في اكفانه غلت يداه الى عنقه فسأل الله العفو والعافية (خلافة سليمان ابن عبد الملك بن مروان) (فما) يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه وقال يا امير المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) فقال سليمان ما ظلمتك قال ضيعتي الفلانية غلبني عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا رفع خدي من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض ولما سمع كلام ربه الذي خلقه وحوله في نعمه خشي من لعن الله وطرده من رحمة الله (قيل) انه اطلق من سجن الحجاج ثلثمائة الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه وزيرا مشيرا وكان شرها في الاكل نكاحا (قال) ابن خلكان في ترجمته انه كان يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي. قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير ففتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (وقال) ابو سويد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان متلف قد انعم وانبع على رأسه وصائف كل واحدة منهن احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت رصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير وكان معارقا فرفع رأسه وقال يا ابا زيد في مثل هذا الحين تصالحنا فقال اصلح الله الامير او قامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع راسه وقال يا ابا زيد ما يطيب في يومنا

هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء ملفوفة لناء اشرب بها من كفها وامسح فمي بخدها فاطرق سليمان مليا ثم رفع رأسه وقال يا ابا زيد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأيت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع راسه فقال يا ابا زيد حضرت في يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرني ما انا وهذه الصفة من اليك قلت نعم ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعد بن عبد الملك فاذا بجارية قد خرجت من باب القصر كانها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يظهر منها بياض تديها وتدوير سرتها ونقش نكتها وفي رجليها نعلان صرارا قد اشرق بياضها ميها على حمر نعلها بذؤابتين تضربان حقويها ولها صدغين كانهما نونان وحاجبان قد تقوسا على محاجر عينيها مملوءان سحرا وانف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء من لا يسلوا وعلاج من لا يسمو اطال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العز سبيل لكان امرا جميلا ثم اطرقت مليا ورفعت راسها فقلت ايتها الجارية انسية انت ام جنية ام سماوية او ارضية فقد اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن عقلك فسترت وجهها بكفها كانها لم ترني ثم قالت اعذر ايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله اصلح الله الامير ما أكلت الا غصصت به وما رايت حسنا الا مسح في عيني لحسنها فقال سليمان يا ابا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يستاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك الجارية التي رأيتها هي الذلفاء التي قال فيها

كأنما الذلفاء ياقوتة ... قد اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي بالف الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ازمات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوت وفي توقع الموت هيبة قم يا ابا زيد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء حدائق بهجة حياء من انواع الزهر من اصفر ناقع واحمر ساطع

وابيض ناصح وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب اقسطاطه بالقرب منه فكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل في اكل وشرب وسرور وتم حبور الى ان انصرف شيء من الليل فذهب الى قسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فياحان لكم واما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه لاما كان في مجلسه قالوا لاحاجة لنا بطعامك بشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قالوا غنا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها ... من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري فضاجعها ... اوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق ... فدمعها الطروق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوا على قدم ... وكان من لينها للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت سنان خرجت الى صحن القسطاط فجعلت لا اسمع شيئا من حسن خلق ولطافة الارات ذلك كله في نفسه او هيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يحمدها فخرج الى صحن القسطاس فرآها الا يارب شخص رائع ومشوه * قبيح المحايا واضح الاب والجد

يروعك منه صوته وامله ... الى امة يعزى معا والى عهد

فقال سليمان دعيني من هذا المحال فو الله لقد خطر قلبك منه يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت ان سبقت رسول امير المؤمنين الي بسنان فخذوه فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين فلما اتى به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حماني وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان راي امير المؤمنين ان يعفو اعني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل دقت له الحجر وان الفحل اذا هدر ضيعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صعت اليه المرأة واياك والعود الي ما كان منك فيطول غمك انتهى (وقيل) كان رجل يقال له خزيمة بن بشر من

بني اسد كانت لهم مروءة ظاهرة ونعمة وحسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذي كان يتفضل عليهم وكان واساهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال يا ابنة عمي قد رايت من اخواني تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتي الى ان اموت فاغلق بابه واقام يقتوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة وانما سمي بذلك لاجل كرمه فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض ما حاله فقالوا قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق بابه ولزم بيته قال فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فقالوا لا فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى اربعة آلاف دينار وجعلها في كيس وخرج سرا من اهله ومعه غلام يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعد عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك فناوله فرآه ثقيلا فوضعه على يده ثم امسك بلجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك قال له عكرمة يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة واريد ان تعرفني قال فما اقبله الا ان عرفني من انت فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى ابنة عمه فقال لها ابشري فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة قومي فامرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة لا يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا الى زوجة أو سرية فقال اعلمي اني ماخرجت في واحدة منها قالت فخبرني فيم خرجت قال ياهذه ماخرجت في هذا الوقت وانا اريد ان يعلم بي احد قالت لا بد ان تخبرني قال تكتميه اذا قالت فاني افعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله وزدت عليه ثم قال انجبين ان احلف لك ايضا قالت لا امان قلبي قد سكن وركن الى فاذكرت (واما) خزيمة فلما اصبح صالح الغرماء واصلح ما كان من حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فأخبر بمكانه وكان مشهورا بمروءته وكرمه وكان سليمان

عارفا به فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك ياخزيمة ما ابطأك عنا
قال سوء الحال قال فما منعك عن النهضة الينا قال ضعفي يا أمير المؤمنين قال فما نهضت الينا
الان قال لم اعلم يا أمير المؤمنين الا اني بعدهدو من الليل لم اشعر الا ورجل يطرق الباب
وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف
الرجل فقال خزيمة ما عرفته يا أمير المؤمنين لانه كان متنكرا وما سمعت من لفظه الا انا
جابر عثرات الكرام قال فتلهف وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه
لكافأناه على مروءته ثم قال على بقناة فأتي بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة
عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما خرج منها قبل
عكرمة واهل البلد القائه فسلما على بعضهم ثم سارا جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة
في دار الامارة وامر ان يأخذ لعكرمة كفيلا وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول
اموال كثيرة فطالبه بادائها قال مالي الى شيء من ذلك سبيل قال لابد منها قال ليست
عندي فاصنع ما انت صانع فامر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول اني
لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فاقام شهرا كذلك
أو اكثر فاضناه ذلك واضر به وابلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت
مولاة لها وكانت ذات عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى باب هذا الامير
خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي لا أقولها الا لامير خزيمة
ابن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك فقولي ما كان جزاء جابر عثرات
الكرام منك كافأته بالحبس والضيق والحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة
كلامها نادى برفيع صوته واسواتاه وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت
وبعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة
ومن معه فرآه قاعدا في قاعة الحبس متغيرا اضناه الضر والالم وثقل القيود فلما نظر
اليه عكرمة والى الناس احشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى ركب على رأسه
فقبله فرفع عكرمة اليه رأسه وقال ما اعتب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتي
قال يغفر الله لنا ولك ثم اتى بالحداد ففك القيد عنه وامر خزيمة ان توضع القيود
في رجل نفسه فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل

ما نالك قال اقسم عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه
عكرمة واراد الانصراف فقال ما انت ببارح قال وما اريد قال أغير حالك وان حيائي
من ابنة عمك اشد من حيائي منك ثم امر بالحمام فاخلي وادخلاه معا فقام خزيمة وتولى
امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل عليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره
واستأذنه في اعتذار الى ابنة عمه فاستعذر اليها وتذمم من ذلك قال ثم سأله بعد ذلك ان
يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى
قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه
ذلك وقال والي الجزيرة يقدم بغير امر لنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له
قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي اقبلك قال ظفرت
بجابر عثرات الكرام فاحببت ان اسرك بما رأيت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته
قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة
فرحب به وادناه من مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان
اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه في رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته
وامر له بعشرة آلاف دينار وسبعين ثيابا ثم دعا بفتاة وعقد له على الجزيرة وارمينية
واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ابقيته وان شئت عزلته قال بل اردده
الى عمله يا امير المؤمنين ثم انصرف من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته
والله اعلم (خلافة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وتفمنا به)
امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو تابعي جليل قال الامام
احمد بن حنبل ليس احد من التابعين قوله حجة الا عمر بن عبد العزيز كان رضي الله عنه
عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا ازال ما كان بنو امية تذكر به عليا رضي الله
عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية
ولما ولي الخلافة وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا تؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر
بهم رجاء ابن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير قام اليه وانشد ابياتا منها

يا أيها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيأ من امرهم ثم مر بهم عدي بن ارطاة فقال جرير ابياتا آخرها

قوله لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال ايا امير المؤمنين الشعراء بابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة قال ويحك ياعدي مالي وللشعراء قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدحه قوم واعطى ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها لسانه قال أو تروي من قوله قال نعم وانشد

رأيتك ياخير البرية كلها نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا عن الحق لما اصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان امرا مدنسا واطفأت بالاسلام نارا تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا وكل امرئ يجزى بما كان قدما
اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وقومت ركنا شاخما فتهدما

فقال ويلك ياعدي من بالباب منهم قال عمر بن ابي ربيعة قال اوليس هو الذي يقول

ثم نبهتها فهبت كعابا طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها الي قالت ويلتي قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل على والله ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أوليس هو الذي يقول

هما دليانى من ثمانين قامة كما انقض بازا كتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا اخى فسيرجى ام قتيبلى نحاذره

لا يدخل على والله ابدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال ياعدي أوليس هو الذي قال

واست بصائم رمضان طوعا ولست باكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود ادعوا قتيل الصبح حي على الفلاح
وتكفى سأشربها شمولا واسجد عند مبتاح الصباح

والله لا يدخل على ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال أو ليس هو الذي يقول

الله بيني و بين سيدها يغربها عني واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل بن معمر قال اوليس هو الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا وان امت يوافق موتي موتها وضريحا

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد صالحا لكان اصلح والله لا يدخل على ابدا فهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال أوليس هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولا تقل الا حقا فانشد يقول قصيدته الرائية المشهورة التي منها

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر
هذه الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارامل الذكر
الخير مادمت حيا لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال ياجرير لا أرى لك فيمن ههنا حقا قال بلى يا امير المؤمنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال و يحك ياجرير لقد دولينا هذا الامر ولم نملك ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله ياغلام اعطه المائة الاخري فاخذها جرير وقال والله لهي احب مالا اكتسبه في عمري ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك ياجرير فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء و يمنع الشعراء واني عنه لراض وقال

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني قال يونس الكاتب خرجت الى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعي جارية غانية وكنت حملتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها ان تساوي مائة الف درهم قال فلما قربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معي واخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما انا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم علي وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فأخذ ابركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت ان تغني صوتا ففنيته

حازت من الحسن مالا حازه البشر فلذلي في هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جويرة حاز قلبي في محاسنها فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى ان صلينا العشاء ثم قال اقدمك علينا هذا البلد قال اردت بيع جاريتي هذه قال فكم املت فيها من الثمن قلت ما اقضي به ديني واصلح به حالي قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الى فضل الله والمزيد فيه قال ايقنعك اربعون الفا قلت فيها قضاء ديني وفي صفر اليد قال قد اخذناها بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في حالي ابدا ما بقيت فعلمت قد بعتكها قال افتثق بي ان أوصل ذلك غدا واحملها معي أو تكون معك الي ارا احمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء مع الخشية منه على ان قلت نعم وقد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال لاحد غلمانه احملها على دابتك وارتدف ورائها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني وانصرف فما هو الا ان غاب عني ساعة فعرفت موضع خطئي وغلطي وقلت ماذا صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لم اعرفه ولا ادري من هو وهب اني عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست مفكرا الى ان صليت الصبح ودخل اصحابي دمشق وجلست حائرا لا ادري ماذا اصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت بالدخول الي دمشق ثم قلت لمن آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدارهناك فلما اضحى النهار فاذا احد الغلامين الذين كانا معه قد اقبل علي فما اذكراني قد سررت بشيء اعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر اليه فقال ياسيدي ابطأ عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم قال لي اتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الي ان وصلنا داره فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من امرك قالت انزلني الى هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا قد اتاني خادم له فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك اندمت على ما كان منك البارحة وقلت

دفعت جاريتي الى رجل لا أعرفه ولا اعرف اسمه ولا من اي البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان اندم ولو اهديتها الى الامير كانت اقل واخس وما قدر هذه الجارية فقال والله لكني ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد وهبته وسفهت عليه في استعجالي لاخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتني هذه الجارية بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام الف دينار فاتى بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار اخري فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك فضمه اليك وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يديه وقلت والله لقد ملأت عيني ويدي ثم قال والله اني لم ادخل بها ولا اشبعت من غنائها فعلي بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غني فانشدت تقول

ايامن حاز كل الحسن طرا ويا حلو الشمائل والدلائل
جميع الحسن في عجم وعرب وما في الكل مثلك يا غزالي
فاعطف يا مليح على محب بوعدك او بطيف من خيال
حلالي فيك ذلي وافتضاحي وطاب لقاتلي سهر الليالي
وما انا فيك اول مستهام فكم قبلي قتلت من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا وانت اعز من روحي ومالي

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تأديبها وتعليمها اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة يسرجها رأتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه ونفقته ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضي الى الحق بي فوالله لاملأن لك يدك ولاعلين قدرتك ولاغنيتك ما بقيت قال فأخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوافى والله بوعده ووافى اكرامي وكنت معه على اسر حال واسني منزلة وقد اتسعت احوالي وكثرت اموالي وصار لي من الضياع والاملاك ما يكفيني الى مماتي ويكفي من بعدي ولم أزل معه حتى قتل عفا الله عنه (وقيل) انه لما حج هشام في ايام ابيه وطاف بالبيت وجهد ان يسل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وكان احسن الناس

وجهها واطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهي الي الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من اهل الشام من هذا الذى قد ما به الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان ابو فراس الفرزدق حاضرا فقال والله انا اعرفه فقال الشامى من هذا يا ابا الفراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذ رأته قريش قال قائلها ... الي مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدما وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان خلق الحسن والشيم
حمال اثقال اقوام اذا افتدحوا ... حلو الشمائل محلو عنده نعم
ما قال لا قط الا فى تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت ... عنها الغياهب والاملاك والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجي ومعتصم
ان عدا هل التقي كانوا أئمتهم ... اوقيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمت والا ... سد اسد الشرى والباس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهم ... سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... فى كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم
أى الخلائق ليست فى رقابهم ... لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضى الله عنه باثنى عشر الف درهم فردها وقال مدحتها لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعود فيه فقبلها الفرزدق انتهي (ومما يحكى) ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب فتبعه واحاله الى خباء اعرابى يرعى غنما فقال هشام ياصبي دونك هذا الظبي فاتنى به فرفع الصبي رأسه اليه وقال له ياجاهل بقدر الاخيار قد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام ياصبي ويلك اما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء ادبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابى لا اقرب دارك ولا حبي مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا على يديه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال على بالغلام فاتى به فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الي ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكث رأسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا بردعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق ونهوه الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبي حضرت فى يومنا فيه اجلك وخاب فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي والله ياهشام لئن كان فى المدة تأخير ما سرني من كلامه لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من امرك وخذلك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له

لهمسرعالقيت الخذل ولامك الويل والهبل اماسمعت ماقال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل جدافمن هشام حتي لايخاطب خطابافعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظاشديداوقال ياسياف على برأس هذا الغلام فقداكثر الكلام فيماخطر على الارهام فقام السياف واخذ الغلام وبركفى نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال ياامير المؤمنين عندك المذل بنفسه المتقنب فى رمسه أأضرب عنقه وانا برىء من دمه قال نعم فاستأذنه ثالثة فهم ان يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازد دهشام منه تعجباوقال ياصبي اظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وانت تضحك هزأ بنفسك فقال ياأمير المؤمنين لئن كان فى المدة تأخير ولم يكن فى الاجل تقصير ماضرنى منك قليل ولا كثير لكن ابيات حضرت الساعة فاسمعها فقتلى لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات وأوجز فهذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من الدنيا فانشد يقول

نبئت ان الباز عاق مرة * عصفورة برساقه المقدور * فتعلق العصفور فى اظفاره
والباز منهمك عليه يطير * فاتي لسان الحال يخبر قائلا * ماقد ظفرت وانى ماسور

مثلى فما يغني لمثلك جوعه ولئن اكلت فانني محقور
فتبسم الباز المذل بنفسه طربا واطلق ذلك المعصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لوتلفظ بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته ياخادم احش فاه درا وجوهرا واحسن جائزته ودعه يمضى الي سبيله (ابتداء الدولة العباسية)

كان القائم بهذه الدولة ابومسلم الخراساني وكان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله

ادركت بالحزم والكتمان ماعجزت شنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا
مازلت اسعى بجهد فى دمارهم والقوم فى غفلة والناس قد رقدوا
حتى ضربتهموا بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنما فى ارض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد

(اولهم عبدالله السفاح) ذكر بن الجوزى فى كتاب الاذكياء عن خالد بن صفوان انه دخل يوما على ابى العباس السفاح وليس عنده احد فقال ياامير المؤمنين انى والله مازلت منذ قلدك الله خلافته اطلب ازاصبر معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة

فان راى امير المؤمنين ان يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال ياامير المؤمنين اني فكرت فى امرك واستجلبت الفكر فيك فلم ار احد اله قدرة واتساع فى الاستمتاع بالنساء ولا اضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت ياأمير المؤمنين على نفسك التلذذ بما يشتهى منهن ان منهن الطويلة التى تشتهى لحسنها والبيضاء التي تحب لرؤيتها والسمراء اللماء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهي من نضارتهن ونظافتهن وتحال خالد لسانه فاطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملات مسامعى ماشغل خاطرى والله ماسلك مسامعى كلام احسن من هذا فاعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقي العباس مفكرا فدخلت عليه ام سلمة زوجته وكان قد حلف لها انه لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سرية وفى لها بما رأته على تلك الحالة قالت له انى لا انكرك ياامير المؤمنين فهل حدث شيء تكرهه اوتاك خبرا تعتله قال لا فلم تزل به حتى اخبرها بما قاله خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها انصحني وتشتميني ثم خرجت الى مواليها وامرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت مسرورا من الدار بما القيه الى امير المؤمنين ولم اشك فى الصلة فبينما انا واقف اذ اقبل موالى ام سلمة يسألون عني فحققت الجائزة فقلت لهم ها انا واقف فاستبق الى احدهم بخشبة فغمزت برذوني فاحقني وضرب كفل البرذون وركضت ففررت منهم واستخفيت فى منزلي ايا ما وقع فى قلبي انى منفى من ام سلمة فبينما انا ذات يوم جالس فى المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا اجب امير المؤمنين فسبق الى قلبي انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم اردم شيخ اضيع من دمى فركبت الى دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسني ثم قال ياخالد انت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت نعم ياامير المؤمنين اعلم انك ان العرب ما اشتقت اسم الضرتين الامن الضر وان احدا لم يكثر من النساء اكثر من واحدة الا كان فى ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من

كلامك أولا فقلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشتيت الرؤس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك أولا سرى في حديثك قلت بلى يا أمير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع اصاحبهن يشينه ويهرمه قال والله ما سمعت منك هذا أولا قلت بلى يا أمير المؤمنين واخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين افتكذبني قلت افتقتلني قال فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك ريحانة قريش وانت تطمح بعينك الي النساء والجواري فقيل لي من وراء الستر صدقت يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك فقال السفاح مابك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى (وروى) ان ابا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الايام فقال سلني حاجتك فقال له ابو دلامة اريد كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلام يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لما الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها فقال اعطوه دار تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد قطعتك عشرة ضياع عامرة وعشرة غامرة من فيافي بني اسرافيل قال وما معني الغامرة يا امير المؤمنين قال مالا نبات فيها قال قد اقطعتك يا امير المؤمنين مائة ضيعة من فيافي بني سعد فضحك منه وقال اعطوه كلها عامرة قال الحاظ نظر الي خرقه بالمسألة ولطفه فيها كيف ابتدا بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسئلة على ترتيب وفكاهة حتي قال ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها (وروي) عن الحسن بن الخصين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة من اختفى ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك ولم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ له امان من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظي عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا بلابلا مختفيا فحدثني باعجب ما رأيت في اختفائك فايها كانت ايام تقدير فقال امير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزلي انظر معه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلا

واذا بغلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا حتى اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا أعرف بها احدا واذا انا بباب كبير في رحبة منيفة فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتابا فقال لي الك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة داره فقال لك هذا وهيا لي ما احتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده والله ما سألني قط من انا ولا ممن اخاف وهو في أثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كانه يطلب شيأ فاته ولم يجده فقلت له يوما اراك في كل يوم تركب وتعود متعوبا متأسفا كانك تطلب شيئا فاتك فقال لي ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد بلغني انه مختف عند السفاح وانا اطلبه لعلي اجده وآخذ بثاري منه فتعجبت والله يا امير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني الى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثاره مني فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة فسألت الرجل عن اسم اليه وعن سبب قتله فعرفني الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب على حقك وان من حقك ان ادلك على قاتل ابيك واقرب اليك الخطوة واسهل عليك ما تبغيه فقال اتعلم اين هو قلت نعم فقال اين هو فقلت والله انا نخذ بثارك مني فقال لي اظن الاختفاء اضناك فكرهت الحياة قلت نعم انا والله قتله يوم كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه الي وقال لي اما ابى فسيلقاك غدا يوم القيامة فيحاكمك عند من لا يخفى عليه خافية واما انت فلست مخفر ذمتي ولا مضيعا ذا نزيلي اخرج عني فاني لا من من نفسي عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق فاخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال لي خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رايت فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب (وعن) الهيثم بن عدي قال فكان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة في مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكردي وناس من بني الحرس بن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم النميمي فخاضوا الحديث وتذاكروا في مصر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دامت لهم الدنيا وكانت لهم القرى

ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك كابرعن مكابر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسات والتابعة ومنهم من مدحته الذين منهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتزلموته العرش ومنهم من كلمه الذئب ومنهم الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وليس شيء له خطر الا واليهم ينسب من فرش رائع او سيف قاطع او درع حصينة مصونا ودرة مكنونة ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابرهم ولا يناالهم مفاخرهم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن اليمني يرضي بقولك ثم قال له ما تقول ياخالد قال ان اذنت لي في الكلام تكلمت قال اذنت لك في الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطا يا امير المؤمنين المقتصم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ما قاله وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان حادوا عن قصدنا اكلوا وان جاروا حكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنبهانيات والمنذريات وغير ذلك مما سناتي عليه ونخر عليهم بخير الانام واكرام الكرام سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه فيه عزوا وله اكرموا منا النبي صلى الله عليه وسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجيرة والبطحاء مع مالا يخفى من المساثر ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بما عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا التصديق والفاروق والوصي واسد الله وسيد الشهداء والجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الي ابراهيم فقال اعالم انت بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجمجمة قال والسن قال المبذن قال والاذن قال الصارة والاصابع قال السنانير قال والحية قال الذئب قال والذئب قال الكنع قال افتؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقول (إنا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل الم ترى ان الله تعالى قال العين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة وقال السن بالسن ولم يقل المبذن بالمبذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال (يجعلون اصابعهم في آذانهم) ولم يقل شنانيرهم وقال

(لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) ولم يقل بذنبي وقال تعالى (فاكله الذئب) ولم يقل فاكله الكنع ثم قال اسألك عن اربع ان اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وماهي قال الرسول منا او منكم قال فالقرآن نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الاربع فهو لكم

(خلافة ابي جعفر المنصور)

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانق لانه كان يحاسب على الدوانق فكان اذا جاء شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون احد احفظها او احدا نشاها اي بان كان اني بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة وان يكن احد يحفظها نعطيك زنة ماهي مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من اول مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها مني وينشدها كلها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمع المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التي خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شيء (قال الراوي) وكان الاصمعي من جلسائه وندمائه فنظم ابياتا وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها في عباءة فجعلها على ظهر بعير وغير حليته في صفة اعرابي غريب وضرب له لثاما ولم يبن منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا اخي العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ماهي مكتوبة عليه فانشد الاصمعي هذه القصيدة يقول

صوت صفير البلبل ... هيج قلبي الثمل ... الماء والزهر معا
مع زهر لحظ المقل ... وانت ياسيدي دلى ... وسيدي ومولى
وكم وكم تيمني ... غزيل عقيل ... قطفت من وجنته
الشم ورد الخجل ... وقلت بس بسبسني ... فلم يجد بالقبل
وقال لا لا للا ... وقد غدا مهر ولي ... والخود مالت طربا
من فعل هذا الرجل ... وولت ولوة ... ولي ولى ياويلي

فملت لانو لولى و بينى اللؤلؤ لما رأته اشمطا
يريد غير الفيل و بعده مايكتفي الا بطلب الوصل لى
قالت له حين كذا انهض وجد بالنقلى وفتية سقونى
قهيوة كالمسلى شميهما في انفى ازكى من القرنفل
فى وسط بستان حلى بالزهر والسر ورلى والعود دندن دللي
والطبل طبطبلى والرقص قد طبطبلى والسقف سقسقلى
شووا وشواوا وشاهتو على ورق سفرجلى وغرد القمري يصيح
من ملل فى مللى فلو ترانى راكبا على حمار اهزلى
يمشي على ثلاثة كمشية العرنجلى والناس ترجمجملى
فى السوق بالقلقلى والكل كعكع كعكع خلفى ومن حوللي
لكن مشيت هاربا من خشيه العقيقلى الى لقاء ملك
معظم مبجل يامر لي بخلعة حمراء كالدم دملى
اجر فيها ماشيا مبغددا للذبل انا الاديب الالمعي
من حى ارض الموصلى نظمت قطفا زخرفت تعجز الاديللى
اقول من مطلعها صوت صفر البلبلى

(قال الراوي) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخى العرب هات الذى هى مكتوبة فيه نعطيك زنته قال يامولاى انى لم اجد اكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد ابى وهى ملقاة ليس لها الى بها حاجة فنقشتها فيها فلم يسمع الخليفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفذ ما فى خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظني ان هذا الاصمعى فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعى فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته قال يا امير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية فاذا اعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك والله اعلم وذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما ان ابا جعفر المنصور حج ونزل في دار الندوة وكان يخرج سحر فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم اشكوا

اليك ظهور البغي والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فهرول المنصور فى مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فاتني به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن فقال اجب امير المؤمنين فلما دخل عليه قال انا الذى سمعتك آنفا تشكوا الى الله من ظهور البغي والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى مما أمرضنى فقال يا امير المؤمنين الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق واهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء بيدى وملك الارض فى قبضتى فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين وهل داخل احدا من الطمع ماذا دخلك استرعاك الله امور المؤمنين واموالهم فهمت امورهم واهممت بجمع اموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجبس والاجر وحجبه منهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك وامرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى. لا احد لا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم بجمع الاموال وتقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا الا نخونه فاجمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس الا ما ارادوا فصاروا هؤلاء شركاءك فى سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الي بابك وجدك اوقفت رجلا ينظر فى مظالم الناس فان كان المظالم من بطانتك غال صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك ولا تنكر لقد كانت الخلفاء قبلك من بنى امية اذا اتت اليهم الظلامة أزيلت فى الحال ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك يا أيها الملك لا ابكى الله لك عينا الا من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بى وانما ابكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا يسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس لا يلبس احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرف النهار ويدور فى البلد لعله يجد احدا لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا الامير رجل مشرك

غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث فان قلت
انما اجمع الاموال لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك
ما اغنى عنهم ما اعدوا من الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراده وان
قلت انما اجمع للولد فقد اراك الله عبرة فمن تقدم من جمع المال للولد فلم يغنى ذلك
عنهم شيئا بل فقير اذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي
انت فيها فوالله ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور
بكاء شديدا ثم قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والصالحون لم
يدخلوا على فقال يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم
وخذ المال بما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك
فقال المنصور تفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فاذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى
صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة على بالرجل الساعة فخرج
يطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال اجب امير المؤمنين فقال ليس الي ذلك من
سبيل فقال اذن بضرب عنقك فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج في
هوزد كان معه ورقا مكتوبة فقال خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات
من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا
عظيما وثوابا جزيلا فاخذه صاحب الشرطة واتي به الى المنصور فلما رآه قال له ويلك
او تحسن السحر قال لا والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه القصة فامر المنصور بقتله
وامر بالف دينار وهو هذا اللهم كما لطف في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك
على العظماء وعلمت بما ارضت كعلمت بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور
كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في عملك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع
كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل
هم وغم اصبحت وامسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزي
عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي اطمعني ان اسألك ما لا استوجبه مما قصرت
فيه ادعوك آمنا راسألك مستأنسا فانك انت المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني
وبينك تتودد الي بالنعم واتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة

عليك فجد بفضلك واحسانك على انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة
الحيوان (وحدث) عبد الله البلتاجي قال دخل ابن ابي ليل على ابي جعفر المنصور
وكان ابن ابي ليلى قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضي يرد عليه من ظرائف الناس
وبرداهم امور فان كان ورد عليك شيء فحدثنيه فقد طال علي يومي والله يا امير المؤمنين
قد ورد علي منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله انثى عجوز تكاد ان تنال الارض
بوجهها أو تسقط من انحنائها فقلت انا بالله وبالقاضي ان يأخذ لي بحقي وان يعينني
على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لي فدعوت بها فجاءت امرأة ضخمة
ممتائة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله
القاضي مرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتي وحجتها فان لحنت بشيء فلترد علي فان
اذنت لي سفرة فقالت العجوز ان اسفرت قضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت
عن وجه والله ما ظننت ان يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه
عمتي مات والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت
مبلغ النساء قالت لي يا بنت اخي هل لك في التزوج قلت ما اكره ذلك يا عمتي قالت
العجوز نعم قالت فخطبني وجوه اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فتزوجني
فكنا كانظر يحانان ما نظن ان الله خلق غيره يغدوا الى سوقه ويروح على بمارزفة
الله تعالى فلما رأت العمة موقعة مني وموقعي منه حدثنا على ذلك وكانت لها ابنة
فشوقتها وهيأتها للدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقالت يا عمتي هل لك ان تزوجني
ابنتك فقالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط فقالت تصير امرأة ابنة اخي الى قال
قد صيرت امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ابنته وزوجت بنتها زوجي فكان
يغدوا عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتأذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسطه منزلها قال مالي اري ربيبتنا قالت
طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها فلما بلغني
مجيئه الى تهيئات له وتشوقت فلما دخل على هزائي بمصيبتي ثم قال ان فيك بقية من
الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال وما الشرط
قلت تصير امرأة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت فاني قد
طلقتها ثلاثا ابنته قال فقدم على بقتله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فاقام عندي

ما اقام ثم اعتل وتوفى فلما انقضت عدتى جاء زوجي الاول الصيرفى يعزيني بمصيبتي فلما بلغني بجيئه تهيأت له وتشوقت له فلما دخل على قال لى يافلانة انك تعلمين انك كنت اعز الناس على واحبهم الى وقد حلت المراجعة فهل لك فى ذلك قلت له لا اكره ذلك ولكن اجعل امرابنة عمى بيدى قال فاني قد فعلت قلت فانى قد طلقتها ثلاثا بتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجى فما اعتدائى عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وأنت فعلت مرة بعد اخرى فقلت ان الله لم يوقت فى هذا وقتا وقد قال (ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) فواحدة بواحدة والبادي اظلم فقال القاضي ان زوج العمة لم يكن له ان يتزوج ابنة اخيها وهى فى عدته فاردت العجوز ان تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها ومجازاة لها على فعلها فقال لها قد فرقت بينكما قومي الى منزلك انتهى (وخطب) المنصور يوما بالشام فقال ايها الناس ينبغي لكم ان تحمدوا الله تعالى ماوهبكم الله في فانى منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال اعرابى الله اكرم من ان يجمعك انت والطاعون علينا

خلافة المهدي

اسمه احمد بن المنصور حدثنا داود بن رشيد قال قلت للهيثم بن على بأى شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء وانزله منه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله المهدى ظريف فان احببت شرحته لك قلت والله قد احببت قال اعلم انه وافي الربيع الحاجب حين افضت الخلافة الى المهدي وقال له استأذن لي على امير المؤمنين فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رأيت امير المؤمنين اعزه الله رؤيا صالحة وقد احببت ان تذكرني له فقال يا هذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذا فقال ان لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى اليه واخبره انى سألتك الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدي فقال له يا امير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس فى انفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك مماذا قال رجل بالباب يزعم انه رأي لامير المؤمنين ايده الله رؤيا حسنا وقد احب ان يقصها عليك فقال المهدى يا ربيع اني والله اري الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها ممن

قال له قد افتعلها قال والله قلت مثل هذا لم يقبل الرجل قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له ما رأيت بارك الله فيك قال رأيت يا امير المؤمنين آتيا اتانى فى منامى فقال اخبر امير المؤمنين انه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك انه يرى في ليلته الآتية فى منامه كانه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجد ثلاثين ياقوتة كانها قد وهبت له فقال المهدى احسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ماخبرتنا فان كان الامر على ماذكرت اعطيناك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال يا امير المؤمنين فما اصنع انا الساعة اذا سرت الي منزلى وعيالى واخبرتهم انى كنت عند امير المؤمنين اكرمه الله ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدى فكيف نعمل فقال يعجل لى يا امير المؤمنين عزه الله تعالى ما احب واحلف له بالطلاق انى قد صدقت فامر له بعشرة آلاف درهم وامر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال له من يكفلك فرعينه الي خادم حسن الوجه والزى وقال له هذا يكفلنى فقال له المهدى اتكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا امير المؤمنين فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة رأى المهدى ماذكرت له سعيد واصبح سعيد فوافى الباب واستأذن فاذن له فلما وقعت عين المهدى عليه قال له ابن مصداق ماقلت لنا عليه فقال له ومارأي امير المؤمنين فتلكم فى جوابه فقال له امرأتى طالق ان لم تكن رأيت شيئا قال المهدي. أجرأك على هذا الحلف بالطلاق فقال لانى احلف على صدق قال المهدى فقد والله رايت ذلك مبينا فقال سعيد الله اكبر فانجزلى يا امير المؤمنين ماوعدنى قال حبا وكرامة ثم امر له بثلاث آلاف دينار وعشرة بخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من انفس دوابه محلات فأخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذى كان كفله وقال سالتك بالله هل لهذه الرؤية من اصل فقال لا والله فقال الخادم وكيف وقد رأي امير المؤمنين ماذكرته قال هذا من المخاريف التى لا أب لها وذلك انى لما القيت هذا الكلام خطر ببالى وحدث نفسه وامر به قلبه واشتغل به فكره ففى ساعة نام خيل لها ماحل فى قلبه واشتغل به فقام فرآه فقال الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقت

واحدة و بقيت معي على اثنتين فازيد في مهرها عشرة دراهم والمحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب فارهه فهنت الخادم وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد اصدقتك وجعلت ذلك مكافاتك على كفالتك فاستر علي ثم طلبه المهدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل كذلك حتى مات (ويحكى) ان المهدي خرج يتصيد فمار به سيره حتى دخل الي خباء اعرابي فقال يا اعرابي هل من قري قال نعم فاخرج له قرص شعير ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدري من انا قال يا أخا العرب اتدري من انا قال لا والله قال ابن خدم امير المؤمنين الخاصة قال بارك الله في موضعك وناوله قعبا آخر ثم سقاه فشربه فقال يا اعرابي اتدري من انا قال زعمت انت من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابي اتدري من انا قال زعمت انت من قواد امير المؤمنين قال لا ولكني امير المؤمنين فاخذ الاعرابي الركوة وأوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة وامان (وقيل) كان لامامه بنت المهدي جارية يقال كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال و كانت بنت ست عشرة سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينال منها اربه فتمنعت مرارا فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من نواحي القصر فشكاها وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس في نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق انه خرج من القصر ليلة فوجدها نائمة سكرى فتقرب منها وحل السراويل من وسطها وردها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها دم فلم يجز وقام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين لينة الشعر

كلفت بها دهرا على حسن وجهها ... طويلا وماحب الكواعب من امري
فمازلت باشجار حق خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
اطالبها شيئا فقالت بغيرة ... اموت بهداء ودمعتها تجرى
فلما تعانقنا توسطت لجنة ... غرقت بها ياقوم في لجج البحر

فصحت اغثني يا علام فجاءني ... وقد لفت رجلي ورحت الي صدري
ولولا صياحي بالغلام وانه ... تداركني بالحبل لرحت الى القعر
فاقسمت عمري لاركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فررت بدير العاقول فرأيت مجنونا فيه فلم ارقط اظرف منه يده على صدره فلما دنوت منه انشد يقول

الله يعلم انني كمد ... لا استطيع ابث ما اجد
روحان لي روح تملكها ... بلد واخرى حازها بلد
وازى الصبابة ليس ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فأهوي لشيء يرميني به فبعدت عنه فقال لي انشدتك ما تحبه واستحسنته وتقول لي يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له أخطأت فقال اذن اعترفت بخطاك ثم قال انشدك شعرا غيره قلت نعم فانشأ يقول

ما اقتل الحين للعب ولا اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسي للبلاء لقد ... اسرع في مهجتي وفي كمد
ياحسرتي اذ ابت معتقلا ... بين اختلاج الهموم والسهد

فقلت احسنت والله زدنا

ان تقتلوني فحرق كبدي ... او كشفوني تاحل الجسد
اضعف ما بي وزادني ألما ... ان لستم أشكوا النوى الى احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يافتى اراك كلما انشدتك بيتا فقلت زدنا وماذاك الا لفارقة حبيب اوخل اريب ثم قال احسبك ابا العباس المبرد ما هو انت قلت انا فمن اين عرفتني فقال وهل يخفى القمر انشدني من شعرك ما نعنعش به روحي فانشدته

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل ... ومن بكائي بكت اعداد اذا رحلوا
يا منزلي الحي اين الحي قد نزلوا ... نفسي تساق اذا ما سقيت الابل
انعم صباحا سقاك الله من ظلل ... غيثا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهدهم والدر جامعة ... والصمل ملتم والحبل متصل
فطل ماقد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يسعد والواشون قد غفلوا

قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه ... والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانو افبان الذى قد كنت آمله ... والبين اعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق ... والدمع منسكب والركب مرتحل
كان قلبي لما لوسار عيشهم ... صب به دنف اوشارب ثمل
لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ... ونورها وسارت بالهوي الابل
وقبلت من خلال السجف ناظرها ... ترنو الي ودمع العين منهمل
ياحادى العيس عرج بى اودعهم ... انى وحقك لا انسى مودتهم
قال ابو العباس المبرد فلما انتهت شعرى قال لى ما فعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة ... ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته ميتا رحمة الله عليه ... ياليت شعرى لطول العهد ما فعلوا

﴿ خلافة موسى الهادى بن محمد ﴾

لم ار فى فيه شيئا ومن رأى فيه شيئا فليضعه (قال) بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف امر بان من رأى فيه شيئا فليضعه فرأيت هذا النذر اليسير مذكورا فى تاريخ الاسحاقى فاحببت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب السكردان ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه واهل بيته فدخل عليه حاجبه واخبره ان بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد وقد ظفر به بعض الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما ابصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف احدهما وقصد الهادي ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا ادنا منه الخارجى وهم ان يملوه بالسيف اومأ الى وراء الخارجى واوهمه ان غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادي مسرعا عن حماره فقبض على الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه وهم اليه و يتسللون عليه وقد ماؤامنه حياء و رعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الاجواد من الخيل فانظر الى هذا المقدار فى ثياب جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها احد الا نادرا (وحكى) عبد الحق انه قال مما ابتلى به المهدى

من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى عادر وكانت من احسن النساء وجها واطيبهن عناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال امير المؤمنين قال وقع فى قلبي انى اموت وان اخي هارون يلى الخلافة ويتزوج عادر فامضوا واثنوني برأسه ثم رجع عن ذلك وامر احضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هارون يترفق به فقال لا ارضى حتى تحلف لى بكل ما احقك انى اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هرون الرشيد فطاب الجارية فقالت يا امير المؤمنين كيف اصنع بالايمان فقال قد كفرت عنك ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة اذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رايت أخاك الهادى الساعة فى النوم فانشدني هذه الابيات

اخفت عهدى بعدما ... جاوزت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت فى ... ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادر اخى ... صدق الذى سماك غادر
لا يهنيك الالف الجد ... د ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصباح ... وصرنى حيث غدوت سائر

قالت ثم ولى عنى وكان الابيات مكتوبة فى قلبي ما نسيت منها كلمة قال لها هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولا تسأل عن هرون الرشيد وما لقى بعدها اه

(خلافة هرون الرشيد بن محمد المهدى)

هو اخو موسى الهادي الخامس من بنى العباس (قال) ابراهيم الموصلى فى تهنئته الخلافة عند ما ولى الرشيد بعد اخيه موسي الهادى

الم تران الشمس كانت مريضة ... فلما اتى هرون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه ... فهرون واليها ويحيى وزيرها

(وقدم) اعرابي حين ولى هرون الخلافة فقيل له فيم جئت قال اتيت برسالة قال أنت

بها قال اتاني آت في منامي فقال ائت امير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش ... بزف اليكما ابدا عروسا

الى هرون نهدى بعد موسى ... تميس ومالها ان لا تميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه وقد بويع بالخلافة في الليلة التي توفي فيها اخوه وولده في تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها في بني العباس مات فيها خليفة وولي فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزارته وسيأتي ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك (ويحكى) ان هرون الرشيد مر في بعض الايام وبصحبته جعفر البرامكي واذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشراب واذا احداهن تقول

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت المنام

كي استريح وتنطفي * نار تاجج في العظام نار تقلبه الاكف

على بساط من سقام * اما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولي قال ان كان كلامك صحيحا فامسكي المعنى وغيري القافية فانشدت تقول

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت الوسن

كي استريح وتنطفي نار تأجج في البدن دنف تقلبه الاكف

على بساط من شجن اما انا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن

قال لها والآخر مسروق قالت بل كلامي فقال ان كان كلامك ايضا فامسكي المعنى وغير القافية فقالت

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الرقاد

كي استريح وتنطفي نار تأجج في الفؤاد دنف تقلبه الاكف

على بساط من حداد اما انا فكما علمت فهل لوصلك من حداد

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل من كلامي فقال ان كان من كلامك فامسكي المعنى وغير القافية فقالت

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الهجوع

كي استريح وتنطفي نار تأجج في الضلوع

دنف تقلبه الاكف على بساط من دموع

اما انا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع

فقال امير المؤمنين انت من اي هذا الحي قالت من اوسطه بيتا واعلاه عودا تعلم امير المؤمنين انها بنت كبير الحي ثم قالت وانت من اي راعي الخيل فقال من اعلاها شجرة واتبعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المؤمنين ودعت ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لا بد من اخذها فتوجه جعفر الى ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية لامير المومنين ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاء الى رحمة الله تعالي فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الي حجرتها وقلعت كل ما كان عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن واقامت النعي له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الي الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسالها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال وكيف ذلك قالت منذ انا عندك ما رأيتك هكذا ولم يكن لي من اخاف عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك انت يا أمير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين

(ويحكى) ان امير المؤمنين هرون الرشيد ارق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير فرأى جارية من جواريه نائمة فاعجبته فداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحيت وقالت يا امين الله ما هذا الخبر فاجابها يقول

قلت ضيف طارق في ارضكم ... هل تضيفوه الي وقت السحر

فاجابته تقول بسرور وهناء سيدي ... اخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها امير المؤمنين الي الصباح فسأل امير المؤمنين من بالباب من الشعراء قيل ابو النواس فامر به فدخل عليه فقال هات على يا أمين الله ما هذا الخبر فانشد يقول

طال ليلي حين وافاني السهر ... فتفكرت فاحسنت الفكر

قمت امشي في المجال ساعة ... ثم اجري في مقاصير الحجر

فاذا وجه جميل مشرق ... زانه الرحمن من بين البشر

فسلمت الرجل منها موطئا ... فدنت مني ومدت الي البصر

واشارت لي بقول مفصح ... يا امين الله ما هذا الخبر

قلت ضيف طارق فى ارضكم هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى اخدم الضيف بسمعى البصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامره بصلة (ويحكى) ان هرون الرشيد هجر جارية ثم لقبها فى بعض الليالي فى القصر تدور فى جانب القصر وعليها مظروف خز وهى تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط ردائها عن منكبيها والريح ابان نهديها كانهما رمانتان ولها درفان ثقيلا فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتنى هذا المدة وليس لي علم بملقاتك فانظرنى الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما اصبح للحاجب قال لا تدع احد يدخل على الا فلانة وانتظرها فلم تجي، فدخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا امير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى الشعراء فدخل عليه ابو النواس والرقاشى وابو مصعب فقال لهم هاتوا على الليل يمحوه النهار فقال الرقاشى انا قائل فى ذلك ثلاثة ابيات

اتسلوها وقلبك مستطار وقد منع الفرار فلا قرار وقد تركتك صبا مستهاما
فتاة لا تزور ولا تزار وانثنت تيها وقالت كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو مصعب وانا قائل فى ذلك ثلاثة ابيات

اما والله لو تجدين وجدي الما سمعت فى بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبرى ومن ذكراك فى الاحشاء نار
تبسمت الفتاة من غير ضحك كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو النواس وانا قائل فى ذلك اربعة ابيات وينشد يقول

وخود اقبلت فى القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح ارداها ثقالا وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداء عن منكبيها من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتى فقالت كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا او مطلعا علينا وامر لكل واحد بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولابى نواس بعشرة آلاف درهم (وذكر) الخطيب فى بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئا فاعجبه

ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الي مجلسه وقال من بالباب من الشعراء قالوا له ابو نواس و بشار ليحضروا فقال ليقل كل منكما ابياتا توافق ما فى نفسى فانشأ بشار يقول حبيتكم والقلب صار اليكما بنفسي ذاك المنزل المتحبب
اذا ذكروا الهجران لاعن ملامة وذكراهم ينتمى الي محب
وقالوا تجنبنا ولا قرب بيننا فكيف وانتم حاجتي تتجنبوا
على انهم احلى من الشهد عندنا واعذب من ماء الحياة وأطيب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما فى نفسى فقل انت يا ابا نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها الى ماء معد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت على عجل لتأخذ للرداء

رات شخص الرقيب على التنادى * فاسلبت الظلام على الضياء * وغاب الصبح منها تحت ليل * فظل الماء يجري تحت ماء * فسبحان الاله وقد براها * كاحسن ما تكون من النساء * فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا امير المؤمنين قال امعنا كنت قال لا والله ولكن شيء خطر ببالى فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه (ويحكى) ان امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فراشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال على الاصمعى فخرج الطوائي الى الرابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احدا خلف الاصمعى فلما حضر اعلم الخليفه به واجلسه ورحب به وقال يا اصمعى اريد منك ان تحدثنى باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبني سوى ثلاثة ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثني حديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين انى توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا اقيل فلم اجد فبينما انا التفت يمينا وشمالا اذا انا مرشوش وفيه دكة خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت بالساباط وجلست على الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم

جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا بومناهذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلاثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلاثمائة دينار لها فقال حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت ان زارني النوم مضجعي ... ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى وما زارني في النوم لا خياله ... فقالت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى بنفسي واهلي من اراه كل ليلة ... ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

وهممت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس ياشيخ فعلدت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الي ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفاظ بحوف الهاءات مدورالواوات مضمونه نلم الشيخ انا ثلاث بنات اخوات جلسنا الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما يراه والسلام فقلت للجارية على بدواة وقرطاس فاحضرتها فانشدت اقول

احدث عن خود نحدثن مرة ... حديث امرىء ساس الامور وجربا

ثلاث بكرات الصحارى جحافل ... حلان للمشوق معذبا

خلون وقد نامت عيون كثيرة ... من الراقدين المشتهين التغيبا

قبحن بما يخفين من داخل الحشا ... نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقلت عروب ذات عزة ... وتبسم عن عذب المقلة انسبنا

عجبت له ان زارني النوم مضجعي ... ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فما انقضى ما زخرفت وتضاحكت ... تنفست الوسطى وقالت تطربا

وما زارني في النوم الا خياله ... فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

واحسنت الصغرى وقالت مجيبة ... بلفظ لها قد كان اشهى واعذبا

بنفسي واهلي من رأى كل ليلة ... ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فلما تدبرت الذي كان وانبرى ... لي الحكم لم اترك لذي اللب منحبا

حكمت لصغراهن في الشعر ... انني رايت الذي قالت جميلا اصوبا

قال الاصمعي ثم رفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا برقص وتصفيق وديادانية وقيامة قائمة فقلت ما بقي لي اقامة فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس ياصمعي فقلت ومن اعلمك انني

الاصمعي فقالت ياشيخ ان خفي علينا اسمك لا يخفى علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحيلت وشكرت صنعها واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس ياصمعي فرفعت بصري اليها فنظرت كفا احمر في كف اصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورت لي بصرة فيها ثلاثمائة دينار وقالت هذا صاري لي وهو مني لك هبة في نظير حكومتك فقال لي امير المؤمنين لاي شيء حكمت للصغري ولم تحكم للكبري ولا للوسطى . فقلت له يا امير المؤمنين ان بيت الكبرى قالت عجبته ان زارني النوم مضجعي وهو محمول معلق على شرط قد يقع ولا يقع واما الوسطى فمر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه وبيت الصغرى ذكرت انها ضاجعة مضاجعة حقيقة وشمت منه انفاسا اطيب من المسك وفدته بنفسها واهلها ولا يفدى بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخليفة احسنت ياصمعي ثم دفع الي ثلاثمائة دينار فاخذتها وانصرفت فكنت اقول لله در ك من شعر اخذت في حكومتي منه ثلاثمائة دينار وفي حكايته مثلها وهو اعلم (ومما حكي) عن الاصمعي في نوادره قال سهرت ليلة عند الرشيد في الرقة فقال لي من ملك يا عبد الله يؤنسك فقلت يا امير المؤمنين مالي انيس غير الوحدة فامسك واقبل في حديث الى ان شاء الله ثم نهض ونهض من يحضرني فلما صرت الى منزلي واذا بخادم الامير قرع الباب فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغاء ومعهم جارية فلما رأتني الخادم دنا مني وقبل يدي وقال لي يقول لك امير المؤمنين قد امرنا لك بمن يؤنسك وهي جارية من خواصه وشيء من المال فشكرت امير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال الجارية ومعها من الآلات والخدم والجواري والفرش ما لم ار مثله الا عند امير المؤمنين ثم ودعني الخادم وانصرف فلما نظرت الى الجارية رأيتها احسن الناس وجها واكملهم قدا واشكلا وظرفا واكثرهم مجونا فدخلني لها هيبة وانقباض فقالت ما هذا الحياء البارد السمج الذي لا وجه له اين ملحك ونوادرك ثم قالت للجارية من الجواري هات ما عندك فجاءت باحسن ما يكون من الطعام فأكلنا رهي مع ذلك تباسطني وتؤانسني بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتني ثم قالت ما بقي بعد هذا كله واشرب الا النوم والخلوة فقمت ولبست من الثياب ما ارادت

والبستني ثيابا فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا ثم اضجعت الي جانبي فلما جمعنا
الفراش اصابني من الحصر وانقطاع الانعاظ والرخاوة مالم اكن اعهده قبل ذلك
فجعلت تقلبه بيدها وتنمزه فلا يزداد لانكماشا فاموتا فلما اعيتها الحيلة فيه ويئست
من قيامه ومضى من الليل اكثره قالت عظم الله اجرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد
ودعت بقسط فاخرجت منه مناديل صغارا وحنوطا وقالت ثم على ظهرك يا بطال
فاستولي على الخجل حتى انى لم اقدر أخالفها في شيء مما تأمرني به في جميع ما تفعله في
فعلته وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجواريها وقامت معهن في
بكاء ونحيب ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون ومازال على ذلك الى وقت السحر ثم
قالت ما بقي الا ما يواري الرجال من الصلاة والدفن وولت عني فقمت وانا اخزي خلق
الله حالا ولبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي وساعتي الي الرشيد فانكر
الحاجب حضوري في ذلك الوقت واعلم الرشيد بي فاذن لي فدخلت وهو قاعد في
مصلاه فقال لي ويحك ما دهاك في هذا الوقت فقلت يا أمير المؤمنين خبري عجيب
وامري غريب فبالله عليك يا امير المؤمنين الا ما رحمتني من هذه الجارية التي انقذتها الى
فلا حاجة لي بها فقال لي امير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذي دعك وليس لها
عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من اولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة
الصلاة فاشتد ضحكه حتي انه كاد يستلقي على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية
في الدار من الجواري وغيرهن ثم قال نحن الي هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين
عنها ثم انه امر بحملها الى داره وعوضني عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حمل معها
في منزل وخرجت مجردة فخطيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من
نظائرها وسميت من وقتها الاصمعية الي ان توفيت رحمة الله عليهم اجمعين ويروى
انه لما دخل هرون الرشيد الي مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام
من ذلك لينفرد بالطواف سبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه
منكرا فقال الحاجب للاعرابي تخل عن الطواف حتى يطوف امير المؤمنين فقال
الاعرابي ان الله قد ساوى بيننا في الاحرام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل (سواء
العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فلما سمع الرشيد

من الاعرابي ذلك راعه امره فامر صاحبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الي الحجر
الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي فاستلمه ثم اتي الرشيد المقام للمصلى فسبقه الاعرابي
فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب
فقال اجب امير المؤمنين فقال ما لي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام
الي السعي فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال
الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت فاجلس وان
شئت تنصرف (قال الراوي) فعظم ذلك على الرشيد وسمع ما لم يكن في ذهنه وما خان
انه يواجهه احد هذا الكلام فجلس الرشيد وقال يا اعرابي اريد اسألك عن فرض
فان انت قمت به فانت يغيره اقوم وان انت عجزت عنه فانت عن غيره اعجز قال
الاعرابي سؤالك هذا سؤال تعلم ام سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال
بل سؤال تعلم فقال له الاعرابي قم فاجلس فقام السائل من المسؤول قال فقام الرشيد
واجنى على ركبتيه بين يدي الاعرابي فقال قد جلست فاسألك عما بدا لك فقال له
اخبرني عما افترض الله عليك فقال له تسألني عن أي فرض واحد ام عن خمسة ام عن سبعة
عشر ام عن اربعة وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة في طول المرام عن
واحدة من اربعين ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتي استلقي على قفاه
استهزاء به قال له سألتك عن فرض فاتيتني بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين
بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة قال (ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين)
قال فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هرون ولم يقل له يا امير
المؤمنين وبلغ مبلغا شديدا غير ان الله عصمه تعالي منه وحال بينه وبينه لما انه هو الذي
انطق الاعرابي بذلك فقال له الرشيد يا اعرابي ان فسرت ما قلت نجوت والا امرت
بضرب عنقك بين الصفا والمروة فقال له الحاجب يا امير المؤمنين عف عنه وهب لله تعالي
ولهذا المقام الشريف قال فضحك الاعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه مما
تضحك اجلا وعجبا منكما اذ لا ادري ايكما اجهل الذي يستوهب اجلا قد حضرام
يستعجل اجلا لم يحضر قال فهال الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابي

اما سؤالك عما افترض الله على فقد افترض على فرائض كثيرة فاما قولي لك عن
فرض واحد فهو دين الاسلام واما قولك عن خمسة فهي الصلوات واما قولك
عن سبعة عشر فهي سبعة عشر ركعة واما قولي لك عن اربعة وثلاثين فهي السجدات
واما قولي لك عن خمسة وثمانين في التكبيرات واما قولي لك عن واحدة في طول
العمر فهي حجة الاسلام واحدة في طول العمر كله واما قولي لك عن واحدة من
اربعين فهي زكاة الشياه شاة من اربعين واما قولي لك خمس من مائتين فهي زكاة
الورق قال فامتلا الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام
الاعرابي وعظم الاعرابي في عينيه وتبدل بغضه محبة ثم قال الاعرابي سألتني فاجبتك
وانا اريد ان اسألك فاجبني قال قل فقال الاعرابي ما تقول في رجل نظر الى امرأة
وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت
العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرمت عليه
فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت
العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له
فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتني في بحر لم يخلصني منه غيرك فقال له انت خليفة
ليس فوقك نبي ولا ينبغي ان تعجز عن مسئلة فكيف عجزت عن مسئلتي وانا رجل
بدوي لا قدرة لي فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فانتهى باكرامي
ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولكن على شرط ان تجبر الكسير وترحم
الفقير ولا تزدري بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال اما قولي لك رجل نظر امرأة وقت
صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى امة غيره وقت الفجر فهي حرام
عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت
عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت
عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت له فلما
كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع
الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح به واشتد عجابه ثم امر له بعشرة آلاف
درهم فلما حضرت قال لا حاجة لي بها ردها الى اصحابها فقال اني اريد ان اجري لك

جراية تكفيك مدة حياتك قال الذي اجرى عليك يجري على قال فان كان عليك
دين قضيناه عنك قال لا ولم يقبل منك شيأ ثم انشد يقول

ذهب الدنيا توانينا سنينا * وتكدر ساعة وتلذ حينا * فما ابقى لشيء ليس يبقى
واتركه غدا للوارثينا * كاني بالتراب على يحثى * وبالاخوان حولي نادبينا
ويوم يزفر النيران فيه * وتقسم جهرة للسامعينا * وعزة خالقي وجلال ربي
لينقمن منهم اجمعينا * وقد شاب الصغير بغير ذنب * فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده وتاوه الرشيد سأله عن اهله وبلاده فاخبره انه موسى الرضى
ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
اجمعين وكان يتزيا بزي اعرابي زاهد في الدنيا وتماعداعنها فقام الرشيد وقبل ما بين
عينيه ثم قرأ (الله اعلم حيث يجعل رسالته) وانصرف رحمة الله عليهم اجمعين
(وقال) السجستاني أرق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعي والحسين الخليع
حضرهما وقال عللاني وابدأ انت يا حسين فقال حسين نعم يا امير المؤمنين خرجت
في بعض السنين منحدرا الى البصرة مررت بمحمد بن سليمان الزينبي بقصيدتي فقبلها
وامرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر شديد
فدنوت من باب دار كبيرة لاستقي واذا انا بجارية كانها قضيب ينثني واسعة العينين
ازجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلناري ورداء عذبي قد غلب شده
بياض بدنها على حمرة قميصها تتلالا من تحت القميص ثديين كرمانتين وبطن كطي
القباطي وعكن كالقراطيس ولماجة جعدت بالمسك محشورة وهي يا امير المؤمنين
مدة لمدة خرز من الذهب والجوهر يزهو بين ثديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج
وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان اسيلان وانف اقني تحته ثغر
كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز
ورائحة تخطر على اكباد محبيها في مشيتها وقد خالط اصوات نعلها خلاخيلها فهي

كما قال الشاعر فيها كل جزء من محاسنها كائن من حسنها مثلا

فهنيئا يا امير المؤمنين ثم دنوت لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق
بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب محزون محرق فقلت لها

ياسيدتى انى شيخ غريب اصابني عطش افتأمرين بشربة من ماء تؤجرين عليها
قالت اليك عنى ياشيخ فانى مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاى علة ياسيدتى
قالت لانى عاشقة من لا ينصفنى واريد من لا يردنى ومع ذلك فانى ممتحنة برقباء فوق
رقباء قلت ياسيدتى وعلى بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك
لفضل ماركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما فوقك فى هذا الدهليز قالت
ههنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت ياسيدتى هل اجتمعتما فى وقت من الاوقات
ووجب حديث فى هذا القرب فتنفست الصعداء وارخت دموعها ثم انشأت تقول

وكما كفصنى بان فى كل روضة نشم جنى اللذات فى عيشه رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع فما من رأى فردا يحن الى فرد

قلت ياهذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت أرى الشمس على حائطهم احسب
انها هو ورب ما اراه بغتة فابهت ويهرب الدم والروح من جسدى وابقى الاسبوع
والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذرينى فانت على ما بالك من الصبا وشغل البال
بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى ارى مابك من تغيير اللون ورقة البشرة فلم
يمكث ممتنة فى ارض البصرة قالت والله قبل محبتى هذا الغلام كنت تحفة للدلال
والجمال والكمال رائد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتتنى هذا الغلام قلت ياهذه
فما الذى فرق بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثى وحديثه شأن من الشؤون
وذلك انى كنت قمدت فى نيروز ودعوت عدة من مستظرفات البصرة من النساء
الجميلات وكانت فيهن لجواره جارية شيراز وكان شراؤها عليه من عمان بثمانية
آلاف درهم وكان بى بلية فلما دخلت رمت بنفسها على تقطعنى قرصا وعضا ثم خلونا
فتمرن القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبنى والاعبها
فتارة انا فوقها وهى فوق فحملها السكر الى ان ضربت يده الى تكتى فحللتها من غير
ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلى ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبى
فاشمأز لذلك وحدف عنى صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لحامها
فولى خارجا فانا ياشيخ منذ ثلاث سنين اسأل جميته فلا ينظر الى بطرف ولا
يكتب لى بحرف ولا يكلم لى رسولا ولا يسمع منى قليلا فقلت لها ياهذه من العرب

هو ام من العجم فقالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ هو ام شاب
فنظرت الي شزرا وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد له كرة كحلك
الغراب لا يعيبه شيء غير انحرافه عنى قلت لها ما اسمه قالت ما اذا تصنع به قلت
اجتهد فى لقائه فاتعرف الفضل بيننا كما قالت على شرط ان تحمل اليه رقعة قلت
لا كراه ذلك فقالت اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابى السخاء وقصره بالمربد ثم
صاحت فى الدار ياجوارى الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانوما
طوقا من فضة وكتبت بعد البسملة سيدى ترك الدعاء فى صدر رقعتي ينبي عن
تقصيرى ودعائى ان دعوته هجنة ورعونة ولولا بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير
لكان لما تكلفته خادمك من كتابة هذه الرقعة معنى مع ياسها منك لما هاتركاك
الجواب سيدى جد بنظرة وقت اجتيارك فى الشارع الى الدهليز تحيى بها نفسا
ميتة واخط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك
الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التى انت ذاكرها لها سيدى الست لك
محبة مدنفة فان رجعت الى الايسة كنت لك شاكرة واعد خادمة والسلام فتناولت
الكتاب وخرجت فاصبحت غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا
بالملوك ورأيت غلاما زان المجلس وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير
فوقه فسألت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حل بالمسكنة
ماحل بها ثم قمت وقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب
فوثبت اليه وبالغت فى الدعاء له وناولته الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال ياشيخ
قد استبدلنا بها فهل لك ان تعود الى الديار قلت نعم فصاح فى الدار اخرجوا الربد
فاذا انا بجارية خالوطية الكعبين ناهدة الثديين تمشى مشية مستوحل من غير وحل
فناولها الرقعة وقال اجيبى عنها فلما قرأتها صفرت وعرفت وقالت ياشيخ استغفر
لله مما جئت به فخرجت ياامير المؤمنين وانا اجر رجلى حتى اتيتها واستأذنت عليها
فقالت ماوراءك فقلت البؤس واليأس فقالت ماعليك منه فاين الله واقدر ثم
امرت لى بخمسمائة دينار ثم جزت بعد أيام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا قد خلت
فاذا أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا والله لا نظرت له وجها

فاوردت على رفعة فاذا فيها بعد التسمية سيدتى ولا ابقانى عليك ادام الله حياتك لو صفت
شطرا من غدرك وبسط شطر غبنى عليك وسلكت ظلامتى فيك اذا كنت الجانية
على نفسك ونفسى والمطهرة السوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى
والله المستعان على ما كان من سوء اختيارك والسلام واوقفتنى على ما حمله اليها مرة
الهدايا والتحف العظيمة فاذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رأيتها وقد تزوج بها من
فقال الرشيد لولا ان ضمرة سبقنى اليها لكان لها معى شان من الشؤن انتهى (وحكى)
مسرور الخادم قال رقد الرشيد رقا شديدا الليلة من الليالى فقال يا مسرور من على الباب
من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذرى فقلت اجب امير
المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل معى الى ان صار بين يدى هارون الرشيد
فسلم بسلام الخلافة فرد عليه وامره بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل اعندك شئ من
العجيبة قال نعم يا امير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورأيته او سمعته ووعيته فقال
بل حدثنى عما عاينته ورأيته فقال نعم يا امير المؤمنين اقبل على بكلك واصغ الى باذنك
قال ففعل الرشيد الى مخلده من الديباج الاحمر المزركشة بالذهب محشوة بريش النعام
فجعلها تحته فجلس ثم مكن منها مرفقيه ومال هلم بحديثك فقلت اعلم يا امير المؤمنين انى
كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفها اذهى سؤلى وبغيتى من الدنيا وان اهلها رحلوا
بها القلة المرعى فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقنى وجذبنى اليها فاردت نفسى
بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالى هزنى الوجد اليها فقمت وشددت رحلى على
ناقتى واعتممت بعمتى ولبست اطمارى وتقلدت بسيفى وتنكبت حجفتى وركبت ناقتى
وخرجت طالبا لها وكنت اجد فى السير فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك
كابد هبوط الاودية وصعود الجبال اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات
الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلى وطاش لبى ولسانى لا يفتر عن ذكر الله تعالى
فبينما انا اسير كذلك اذ غلبنى النوم فاخذت فى الناقة على غير الطريق التى كنت فيها وزاد
على النوم واذا انا بشئ لطمنى على رامى فاستنبهت فزعا مرعوبا واذا باشجار وانهار
وماء واطيار على تلك الاغصان تترنم بلغاتها والحانها واشجار تلك المرج مشتبكة
بعضها ببعض فنزلت على ناقتى واخذت زمامها بيدى ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت

بها من تلك الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها
ولا ادرى الى اين اذهب ولا الى اين ما تسوقنى الى قدار فمددت نظرى فى تلك البرية
فلاحت لى نار فى صدرها فوكزت ناقتى وسرت طالبا الى ان وصلت الى تلك النار
فتقربت منها وتاملت واذا بخباء مضروب ورمح مركوز ورايه قائمة وخيل واقفة
وابل سائمة فقلت فى نفسى يوشك ان يكون لهذا الخباء شأن عظيم فانى لا ارى فى هذا
البرية سواه ثم تقدمت خلف الخباء فقلت السلام عليكم يا اهل الخباء ورحمة الله وبركاته
تخرج الى من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر كانه البدر اذا أشرق والشجاعة لائحة بين
عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب انى اظنك ضالا عن الطريق
فقلت الامر كذلك ارشدنى يرحمك الله تعالى فقال يا اخا العرب ان ارضنا هذه مسبعة
وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك
فانزل عندى على الرحب والسعة فاذا كان الغد أرشدتك الى الطريق فنزلت عن ناقتى
وعاقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من اطمارى وجلست ساعة واذا بالشاب قد
عمد الى شاة فذبحها والى نار فاضرمها وأحجبها ثم دخل الخباء وأخرج ازارا نامة ولحما
مطبوبا وأقبل يقطع من اللحم ويشوى على النار ويطعمنى ويتنهد تارة ويبكى تارة
اخرى ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وأنشد يقول

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انس باهت * لم يبق فى اعضائه مفصل
الا وفيه سقم ثابت * فدمعه جار وأحشاؤه * توقد الا انه ساكت

تبكى له اعداؤه رحمة * يا ويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى
الا من ذاق طعم الهوى فقلت فى نفسى انا فى منزل الرجل وأتهجم عليه فى السؤال
فرددت نفسى وأكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغت من الاكل قام الشاب
ودخل الخباء وأخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير أطرافه مزركشة
بالذهب الاحمر وقد املوه من ماء الورد والمسك فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته
قلت فى نفسى ما غرب الظرف فى البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام
ودخل الخباء وقطع بينى وبينه بمقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه

العرب وخذ مضجعك فقد لحقك فى هذه الليلة تعب وفى سفرك هذا نصب مفرط قال
جميل فدخلت فاذا انا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من
الثياب ونمت ليلة لم انم عمرى مثلها ولم ازل كذلك وأنا متفكر فى امر هذا الشاب الى
ان جن الليل ونامت العيون فلم اشعر الا بحس خفى لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية
فرفعت سحاب المضرب ونظرت فاذا انا بصبية لم ار أحسن منها وجها الي جانبه وهما
يبكيان ويتشاكيان الم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الي التلاقي فقلت
بالله العجب من هذا الشخص الثانى وهذا بيت فرد لم ار فيه غير الفتى وليس حوله احد
ثم قلت فى نفسي لاشك ان هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها
فى هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذا هى انسية عربية اذا رمت تخجل الشمس المضيئة
وقد أضاءت الخباء من نور وجهها فلما تحققت انها محبوبته غلبتني الغيرة على الحب
فارخيت الستر وغطيت وجهى ونمت فلما اصبحت لبست ثيابى وتوضأت اصلاتى
وصليت ما كان على من الفرض ثم قلت له يا اخا العرب هل لك ان ترشدنى الى الطريق
فقد تفلت على فنظر الي وقال على رسلك يا وحه العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت
بالذى يدعك الا بعد الثلاثة ايام قال فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته
وسألته على اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بني عذرة وانا فلان بن فلان وعمى فلان
فاذا هو ابن عمى يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت فى بني عذرة قال فقلت يا ابن العم
ما الذى حملك على ذلك من الانفراد فى هذه البرية وكيف تركت عبيدك واماءك
وانفردت بنفسك فى هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامى تفرغرت عينه بالبكاء
ثم قال يا ابن العم انى كنت محبا لابنة عمى مفتونا بها هائما بحبها مجنونا عليها لا اطيق الفراق
عنها فزاد عشقى لها فخطبتها من عمى فابى ان يزوجنيها وزوجها الى رجل من بني عذرة
ودخل بها واخذها الي المحلة التي هو فيها من العام الاول فلما بعدت منى وحجبت عن
النظر اليها حملتنى لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على ترك اهلى ومفارقتي
عشيرتى وخلانى وجميع امتعتى وتفردت فى هذا البيت فى هذه البرية والفت وحدتى
فقلت وابن ابياتهم قال هى قريبة فى ذروة هذا الجبل وفى كل ليلة عند نوم العيون وهدو
من الليل تنسل من الحى سرا بحيث لا يشعر بها احد فانضى منها الحديث الذ وطر

وتقضى هى كذلك رهانا متيم كذلك على هذا الحال الى بها ساعة من الليل (ليقضى
الله امرا كان مفعولا) او ياتينى الامر على رغم الحاسدين (او يحكم الله لي وهو خير
الحاكمين) قال جميل فلما حدثنى الغلام يا امير المؤمنين غمنى امره وصرت من ذلك فى حيرة
لما اصابنى عليه من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك ان ادلك على حيلة اشير بها عليك
وفيها ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عليك الذى تخشاه
فقال لى قل يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاودفها على ناقتى فانها
سريعة الرواح وركب انت جوادك وأنا اركب بعض هذه النوق وأسير بكم الليلة جميعا
فلما يصبح الصباح الي وقطعت بكم بوادى وقفار وتكون قد بلغت مرادك وظفرت
بمحبوبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدك ماحييت بروحى ومالي
وسيفى فلما سمع ذلك قال ابن العم حتى اشاورها فى ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة الامور
قال جميل فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطأت عن
عادتها فرأيت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح
التى تهب من نحوها وانشد يقول

ريح الصبا تهدى الى نسيما * من لذة الحبيب مقيم
يا ريح فيك من الحبيب علاقة * افتعلمين من يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقد ساعة زمانية وهو يبكى ثم قال يا ابن العم ان لبنت عمى فى هذه
الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنى عائق ثم قال لى كن مكانك حتى آتيك الخبر ثم
اخذ سيفه وجحفته ثم غاب عنى ساعة من الليل ثم اقبل وعلى يديه شىء يحمله ثم صاح
الى فاسرعت اليه فقال اتدرى يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال فجمت فى ابنة عمى
فى هذه الليلة فانها كانت توجهت الينا كعادتها اذ عرض لها فى طريقها اسد فافترسها
ولم يبق منها الا ما ترى ثم انه طرح ما كان على يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من
عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده واخذ كساءه على يديه ثم قال لا تبرح الي
ان اتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عنى ساعة ثم عاد وبيده راس الاسد فطرحه
على يده الماء وطلب فاتيته به فغسل فم الاسد وجعل يقبله ويبكى ويئن وزاد حزنه
عليها وانشد يقول

الا ايها الليت المغمر بنفسه * هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها * وصيرت بطن الارض لي ولها وطنا
اقول لدهر خانني بفراقها * وغار عليها ان اكون لها حزنا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك الا احفظت وصيتي انك ستراني الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك تفسلني انا وهذا الفاضل من مشائخ الجارية في هذا الثوب وادفناني قبر واحد واكتب عليه ما يأتي

كنا على ظهرها واميش في رغد * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف اننا * وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج وجعل يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم علي وكبر عندي حتى كدت ألحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت اليه وعملت ما به امرني من الغسل وكفنهما جميعا ودفنتهما في قبر واحد وأقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم ارتحلت وأقمت سنين اتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين (قال) لما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه وأجازه جائزة حسنة والله اعلم (حكاية اجنبية) قال اسحق بن ابراهيم الموصلي بينما انا ذات يوم في منزل وكان زمن الشتاء وقد افترشت السحب وتراكمت الامطار بقطر كافواه القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير فيما قالت لم فيهما من الامطار والوحل وانا ضيق الصدر اذ لم يأتني احد من اخواني ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامي احضر لي طعاما رشرابا فتغصت ان لم يكن معي من يؤانسني ولم ازل اتطلع من الطاقات وأراقب الطرقات حتى اقبل الليل فذكرت جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهي فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وطابت لياليّ مما انا فيه من الفكر والقلق واذا بداق الباب وهو يقول ايدخل محبوب على الباب واقف * فقلت في نفسي لعل غرس اليمني ثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتي وعليها مرط أخضر قد مشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت في الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهي في حال عجيب فقلت لها يا سيدتي ما الذي اتى بك في هذه الاوحال

فقالت قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك فعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها اني لم ارسل اليها احد فقلت الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطلت على ساعة كنت احق بالسعي اليك فاني كثير الصبابة نحوك ثم قلت انلاي هات الماء فاقبل بسخافة فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء على رجليها وتوليت غسلها ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد أن نزعت ما كان عليها واستدعيت بالطعام فاتت فقلت هل لك في الشراب فقالت نعم فتناولت قداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها انا يا سيدتي فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد فقلت غن انت قالت ولا انا ملت فمن يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها الا اني آيس من اجد احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا بعمي يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لي سمعوا وان سكت استحفوا فقلت له من انت قال نعم فقلت فهل لك ان تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدي فاخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها يا سيدتي اتيت بعمي لتتذبه ولا ابرانا فقالت على به فادخلته وعزمت عليه بالطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يديه وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاث اقداح ثم قال لي من تكون قلت اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لقد كنت اسمع بك والآن فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدي فرحت بمن يشرك فقال غني يا اسحق فاخذت العود على سبيل لجون وقالت اسمع الطاعة فلما غنيت وانقضى الصوت قال يا اسحق قاربت ان تكون مغنيا فصبرت على نفسي والقيت العود من يدي فقال ما عندك من يحسن الغناء قلت عندي جارية قال مرها فلتغن فقلت تغن وانت واثق بغنائها قال فغنت قال ما صنعت قلت عندي جارية قال مرها فلتغن فقلت تغن وانت واثق بغنائها قال فغنت قال ما صنعت شيئا فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذي عندنا اجدنا به فان كان عندك شيء فتصدق به فقال على بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب في طرائق لا اعرفها واندفع يغني هذه الابيات

سري يقطع الظلماء والليل عاكف * حبيب بارقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها * ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شرراوقال سر بيني وبينك ماوسعه صدرك ساعة واودعته لهذا الرجل فخلفت لهـا ثم اعتذرت اليها واخذت اقبل يديها وادغدغ ثديها واعض خديها حتى ضحكت ثم التفت الي الاعمى وقلت غن ياسيدى فاخذ العود وغنى هذه الابيات الا ربما زرت الملاح وربما * لمست بكفى المنان المغضبا

ودغدغت رمان الصدور ولم ازل * اعضعض تفاح الخدود المنكبا

فقلت لهـا ياسيدتى فمن اعلمه بما نحن فيه قالت صدقتك ثم نجينا ه فقال انى لحاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا فى طلبه فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح فى الخزانة فلا ندري فى السماء صعد أو في الارض هبط ثم علمت انه ابليس وانه فادلى ثم انصرف فتذكرت قول ابى نواس حيث قال

عجبت من ابليس فى كبره * وخبث ما اضمر فى نيته

تاه على آدم فى سجدة * وصار قواد لذرية

(حكى) ان الخليفة هرون الرشيد ملق فى بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكى وقال ياوزير ان صدرى ضيق وسرادى الليلة تتفرج فى شوارع بغداد ونتظر فى مصالح العباد بشرط أن لا يعرفنا احد من الناس ونتزل بزى التجار الاكياس فقال السمع والطاعة فقاموا فى الوقت والساعة وفعلوا ماعليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا لباس التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف الاكبر وتمشوا من مكان الي مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا بالامر المقدر شبحا قاعدا فى شيخوخه فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا ياشيخ نشتهي من فضلك واحسانك ان تفرجنا الليلة فى مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك انتفع بهما فقال لهم الشيخ ومن يقدر على الفرجة والخليفة هرون الرشيد ينزل فى حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه منادي ينادى معاشر الناس كافة جيد وردي ، شيخ وصبي خاص وعام عبد وغلام كل من نزل فى موكب بالليل وشق الدجلة ضربته عنقه او يشتق على صاري مركبه وكانت الساعة بالحراقة وهى مقبلة فقال له الخليفة هرون الرشيد وجعفر البرمكى ياشيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبو امن هذه الاقبية الى ان تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والله المستعان فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة اقبلت وفيها الشموع

والمشاعل فقال لهم الشيخ اما قلت لكم ياستار لا تكشف الاستار والله أعلم (حكى والله اعلم بغيبه واحكم) ان الرشيد أرق ذات ليلة ارقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وماهى ياجعفر فقال له قم بنا الآن حتى نطلع فوق سطح هذا القصر ونتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كأنما حسن السماء ورزقها * قد رقمت فيها اقانين الصور

فكانما البدر حين لاح لنا * فى بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد ياجعفر ما تلفت نفسى الى شىء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذى يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التى كانها انين محب فارق محبوبه وهى كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة غنت وغنت وقد حدت * تعبر عن حال المشوق وتعرب

ترقص عطف البان تيها لانها * تغني له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال ياجعفر ما تلفت نفسى الى شىء من ذلك فقال يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال ياجعفر ما تلفت نفسى الى شىء فنتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالیا وهذا يقول ذو بيت وهذا يعمل كيت وكيت فقال الرشيد ما تلفت نفسى الى شىء من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى تنزل الى الاصطبل الخاص وتنظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكيت وحمر وأخضر وأبلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تلفت نفسى الي شىء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك فى قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنيكية الي عودية الي دفية الى قانونية زامرة الى مغنية الي راقصة الى سنطورية احضر الجميع وأحضر العقار المروق فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسى الى شىء من ذلك فقال جعفر يا امير

المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فانى قد عجزت عن اجازة هم مولانا فقال
يا جعفر اما سمعت قول ابن عمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا
احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح امتى ثلاث ان يرى بعينه
شيأ مار آه او يسمع شيأ ما سمعه او يطأ مكانا ما وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد
مكان ما وطئناه او شيء ما سمعناه او موضع ما رأيناه فقال جعفر أتأذن لى يا امير
المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير
المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث ما سمعه فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع
وعاد بسرعة بالشيخ ابى الحسن الخليع الدمشقى قال فلما رأى امير المؤمنين سلم
فاحسن وترجم فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامى جوزة الدين وابن عم سيد المرسلين
وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك
لا خمدت لك نار ولا اغيظ لك جار وانشد

دام لك العز والبقاء ما اختلف الصباح والمساء ودمت ما دامت الليالى
بمدة ما لها انقضاء الناس ناس بكل ارض وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث عجيب ما سمع
لم نسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشيء سمعته باذنى او بشيء رأيته
بعينى قال الرشيد يا شيخ ابا الحسن التى تراه العين احسن من الذى تسمعه الاذن فقال
الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لى ثلاث اشياء منك فقال ما هى الثلاثة فقال ذهنك
وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير المؤمنين لى عادة انى اسافر
كل سنة الى البصرة للامير محمد سليمان الزينبي واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له
الاخبار وانشد عليه الاشعار ولى عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد
فاتفق لى فى سنة من السنين انى سافرت الى البصرة على عادتى ودخلت على الامير محمد
ابن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى
فى منزله وأوصى ارباب دولته بخدمتى واكرامى الى ان يعود وأوصى الطباخ الذى
لا يطعمنى الا شيأ تشتهيه نفسى فاشتهت السمك فقلت للطباخ فعمل لى من السمك
عدة الوان فاكلت وطاب لى الاكل حتى ثقل على فؤادي فقلت ايصرف عنى هذا

الا المشي ولى عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حجة
وفرجة ثم انى زلت اتمشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناديت بعطش
السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من الماء لاطيب نفسى لانه يشرب منه اصحاب
الامراض وكبرت نفسي على ان احملها الي شاطىء الدجلة وقلت ما لى ان اتصد بمدد ور
المحتشمين وأطلب منها شربة من ماء فاتيت الى درب فيه خمسة دور داران مقابلتان
لدارين ودار صدر انية قد قامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر
مزخرف بضائب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح
الذهب الوهاج ومسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدثر ومكتوب عليه هذه
الابيات

الا يادار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت في نفسى من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الي الباب فسمعت صوتا رقائلا يقول

بالله ربكما عرجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى قولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا فى ملاطفه * ماضر بوابوصال منك تسعفه
وان بدا لكما فى وجهه غضب * فما لطاه وقولا ليس تعرفه

(قال) فقلت يا حبذا ان كان قائل هذا الصوت شخصا صوته على قدر صوته واحتشمت
ثم انى قويت قلبى و رفعت الستر ودخلت الي الدهليز الى ان انتهيت الي آخره ومددت
طرفى واذا أنا بدار قد أقبلت منه عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورأيته فى صدر
المكان ايوانا و بركه وشاذر واناء وفى ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه مصفح
بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية
تربية العجم على اكتاف الخد بخدا سبل وطرف كحيل وخصر نحيل و ردف ثقيل ان
اقبلت فتيت وان ولت قتلت كما قيل ببض واصفيها

كما اشتهت حلقت حتى اذا اعتدلت * فى طالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها الشحم حتى دار اعكنها * على القباطى فلا سمن ولا غور

كانها فرغت من ماء لؤلؤة * فى كل جارحة امن حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند رأسها طبيب وهو يحبس يدها ويقول ياست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء تشتكيه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لعل الست فى قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى لطفت * مدامعى بالذى اخفى من الالم

فان ابح افتضح من غير منفعة * وان كتمت فدمعى غير منكتم

لكن الى الله اشكو ما كابده * من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الى وقالت من اين ياشيخ فقلت لها من بغداد حملنى العطش الى ان اتيت الي هنا فقالت لعل ان يكون على يدك فرجى فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رددت على الجواب فانا اعطى لك خمسمائة دينار ثم كتبت وهي تقول اما بعد بعجز لسانى وبكل جنانى عني بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وأنا القائلة حيث اقول

سرورى من الدنيا لقاكم وقربكم * وحبكم فرض ومامنكم بد

ولى شاهد ومعى اذا ماذكرتم * جرى فوق خدى لا يطاق له رد

فوالله ما احببت ماعشت غيركم * ولا كنت الا ما حببت لكم عبد

سلام عليكم ما مر فراقكم * فلا كان منكم ماجرى آخر عهد

اما بعد فهذا كتاب من ليلها فى تعذيب لا تركن الى عاذل ولا يصغى الى قائل قد غلبتها ايدى المراق ولو شرحت بعض ماعندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الله الكريم الخلاق ان يمن علينا وانشد

احبة قلبى وان جرتموعلى فكل الذى انتم رحلتم وفى القلب خلفتموه لهيبا مهلا ترفقتمو

وودعتمو يوم ودعتمو باحشاى نارا وأضرمتمو

وما كنتمو تعرفون الجفا * على سؤم بختى تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام منى عليكم عدد شوقى اليكم ما حن الغريب الى

الاوطان فرحم الله من قرأ كتابى وتعطف بردجوابى وأنشدت تقول

احيا بنا مارق دمعى لفرقتكم * يوم الفراق ولا كفت عواديه

بنتم فلم يبق لي بعدكم جلد * ولا فؤاد ولا صبر أرجيه

فكم امنى فؤادي بالهوى كذبا * ولست اول من بانت غواشيه

(وقال) ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد أن نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولته اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمرو فوجدته فى الصيد والفنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد أقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذى كان لنتران طلب الحق وان طلت لم يلحق والامير فى ظهره كانه البدر في منزلته والمماليك احدقوا به كما يحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله غدار أخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال

قمر تكامل فى نهاية حسنه * مثل القضيب على رشاقة قده

والشمس تغرب فى شقائق خده * فالبدر يطلع من ضياق جبينه

حس البرية كلها من عنده * ملك الجمال باسره فكأنما

(قال) ابو الحسن فما اهمانه دون اقبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقنى واخذ بيدى وادخلنى الدار وأنشدية ول من ظن الزمان يابى بهذا غيرانى رأيته فى منامى (قال) فلما جلس على البركة اقبل على يحدثنى ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام ما درج وتعاير فى الاسحار وتناكح فى الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج احمر وافراخ رضع وبعابكات السكر فقال لي بسم الله كل ياشيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاى ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لى حاجتى فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول ان الكتاب الذي للست بدور فقلت ياسيدى وما هى الست بدور فقال التى جئت من عندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجري لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا فلا شيء كتبت الكتاب فقلت لو جاء احد من عندها واتاك فقال انه لا يجسر أحد من غلمانها يقابانى فقلت لا وراح احد من عندك اليها فقال هى اخس

وأحفر من ان يمضى اليها احد من عندي فقلت ياسيدى الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحى ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون * ترى مالا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش * الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يامولاى ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه فى البركة فصعب على فلما علم منى ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندى كل واشرب وخذ منى الخمسمائة دينار التى وعدتك بها الست بدور وأنا احب اليك منها وأنشد يقول

رأيت شاة وذئبا وهي ماسكه * باذنه وهو منادلها سارى
فقلت اعجوبة ثم التفت ارى * مابين نابه ملقي نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما * والذئب يسطو بانياب وأظفار
تبسمت ثم قالت وهى ضاحكة * بالتبر يكسر ذاك الضيغم الدار

(قال) فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الي مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسق حيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقانى وأنا احدثه واناد مه الى ان قرب الغروب فقال يا ابا الحسن مالذة الامير اذا شرب الي المساء من غير غناء فقلت يقال الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولي به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحضيرة تتفظ بالذهب واللازورد العجب وهى مزخرفة قد عبق ازهارها وضحكت سلاحيتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمر ووجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يامولاى قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاث جوار قد أقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نفرت الدفية على دفها وأصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بمزمارها فخيل لى ان المجلس الذى نحن فيه يرقص بنا ثم ان الدفية غنت تقول

احبابنا اننى من يوم فارقتكم * على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم * عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا امير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدا ثم رجعت الي الطريقة الاولى والشدت

امؤنس طرفى لا خلا منك ناظري * وجامع شملى لا خلا منك مجلسى
ويا ساكن قلبي وما فيه غيره * يخل فما استوحشت فيه لمؤنسى
وبالله ياعين الوري من ملاحة * تصدق على صب من مصير مفلس
املنى الرضى حتى اعيظ به العدا * يا وحشي من بعد ما كان مؤنسي
رضاك الذى ان نلته نلت رفعة * والبسنى فى الناس اشرف ملبس

قال والله يا امير المؤمنين لما تمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية نحو الدفية وقالت لها يا فلانة تحسنى ان تقولي مثل هذا فقالت الدفية انا احفظ ابياتا اظن انك لا تحفظين لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا قالت العودية هات ما عندك فتقرت الدفية على دفها بانامالها ورنمت صوتها وهى تقول كررت ورددت ذكرهم فى مسمعى * فهم الشفا لتألمى وتوجعي

اقصر بعد ذلك ياعذول فان لى * قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعى

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هات فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة وثمانية وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت تقول

ان لم اسل وادي الاسيل بادمعى * اعلم بانى فى الصبابة مطيع
ياسعد ان جئت الغوير وعاينت * عيناك بان الملحنى فلترجع
وخذا الحذار من العذول المختفى * واحذر يصيدك لحظات البرقع

(قال) والله يا امير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا يرقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غن لى عن الذى بقلبي وحدى فعندها سارت عودها وقالت

ما كنت اول رامق صباصبا * نحو التصابى وهو فى عشر الصبا
فعلام يعزلنى العذول على البكا * لولا الغرام لما عدوت معذبا
حكم الهوي بحكمه فى مهجتى * ولقد عدا قلبي به متقلبا
يا للرجال حبا الهوى بحشاشتى * نارا فما نحبوا على ذاك الخبا
ولقد سبا قلبي غزال لو رأت * بلقيس طلعته لما سكنت سبا

ولقد هربت من الغرام فقال لي * مهلا رويدا اين مني تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع على الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يامولاي انه قد نام سيدي فان اخترت ان تنام فقم نم في مرقد وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسألت عن الامير عمرو فقالت بعض الجواري انه سرح الى الصيد والقنص فاخذت شاشا لابسه فرأيت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور واذا بها واقفة خلف الباب تنتظر وهي تقول

يارسولي الى الحبيب اعتذر لي * فلعل الحبيب يقبل عذري

ثم قل للحبيب عني بلطف * اي ذنب جرى فاوجب هجري

فلما رأتني قالت ياشيخ اقحام شعير فقلت لا والله ماهو الا روان والله مارضي يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الي صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب يا ابا الحسن مامضي الليل واتى النهار على شيء الا وازاله وغيره ويغير الله ما في القلوب ثم انها اغلقت الباب في وجهي ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزيني فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده اياما واخذت رسمي وعدت الى بغداد ثم اني في السنة الثانية سافرت الى البصرة على ماجرت العادة به ومضيت الى الامير عمرو بن جبير الشيباني لاتمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار متغيرة الاثار والعبيد لابسين السواد فلما رأيت ذلك بكيت وانشدت اقول

يادار اين ترحل السكان * وسرت بهم من بعدها اذعان

بالامس كان بك الضياء مع الهنا * واليوم في عرصاتك الغربان

فسمعني بعض الغلمان فظهر لي وقال من ذا الذي يبكي على ديارنا ويندب منازلنا كفى بنا ماعندنا فقلت له ياعبد الخيران صاحب هذا الدار كان من اصدق الناس الى فعل الزمان به فقال لي الغلام يامولاي هو في قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذلي الطريق فقال لي الغلام يامولاي من اقول فقلت قل الشيخ ابو الحسن الدمشقي المسامر قال فغير الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لي بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمرو نائما وعند رأسه طبيب وهو يجس يده

ويقول له يامولاي الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكي غير سهر الليل وجريان الدمع فلما سمع الامير عمرو كلام الطبيب بكى وانشد

قال الطبيب لقومه حين جس يدي * هذا فتاكم ورب البيت مسحور

فقلت ويحك قد قاربت في صفتي * عين الصواب فلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كتابا فيه بعضة دنانير فاخذها الطبيب وانصرف ثم التفت عمر الي وقال ياشيخ ابا الحسن اما تنظر الي هذا الحال الذي وقعت فيه فقلت لك حاشاك من الاسواء ماسبب ذلك قال ما اعرف له سببا الا ان هجر الست بدور قد قتلني وحبها اضنى فؤادي فقلت يامولاي العام الماضي تركتك اميرا واليوم اتيت لقيتك اسيرا فما السبب فقال الامير عمرو ياشيخ ان في ليلة من الليالي ركبت في الشط وقد شحنت مركبي من سائر الازهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام وأوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا في البسط وبقينا في لعب وضحك الى ان ثلث الليل الاول واذا قد أقبل من صدر الشط مركب وهي تزف بالطارات والدفوف وتقيء كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح قدم بنا حتى نتفرج ونتنزه أينا احسن تعبية مركبنا او هذه المراكب فمدت عيني فرأيت صاحبتي الست بدور وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهي مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عيني عليها كأنما رمت في قلبي سهما فقلت في نفسي ما فرقت هذا الوجه المليح بذنب ثم اني تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم اقدر أصبر فمددت يدي واخذت تفاحة ورميتها الى الست بدور فالتفتت فرأتني فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة نتشرح فارسل الله هذا الفتى يبغض علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمني اضرمت النار في قلبي ثم قلت لنفسي انت كنت المطلوب ثم قصرت الطالب فلم يهنأ لي عيش في هذه الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم اني نزلت ومضيت الى منزلي وماذقت طعم المنام فلما اصبحت لم يقر لي قرار وصرت ارقب ان يأتي احد من عندها ثلاثة ايام فلم يأتني احد فبعثت من يعرض بذكري لها فدعت علينا وشتمتهم وكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم ترد لي جوابا وقد رميت روحي على كل كبير في البشرة فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولي مدة انتظرك ياشيخ ابا الحسن حتى ابعث معك

من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شيء به من المرض فقلت ياسيدتي ما اقدر أصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتفرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي جمل اجتماعنا على يديك ثم دعت بقرطاس وكتبت في اول الكتاب بسم الله ثم انها ابتدأت تنشد

وصل الكتاب فلا عدمت انا ملا * عنيت به حتى تضوع طيبا
ففضضته وقراته فوجدته * لحنى اوجاع القلوب طبيبا
فكان موسي قد اعيد لامه * اوثوب يوسف قد أتى يعقوب

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ما عليه من مزيد وما مولها من الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد وأقول

اشاقتكم حتي اذا نهض الهوى * لمقامكم قعدت بي الايام
والله اني لو وضعت صبابتي * في المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيه فتاة المسك والطيب وطوتها وحققتها ونا ولتني اياها فاخذتها وقمت مسرعا وأنا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمرو فدخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحب بيننا * اسحرام القرطاس اصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي اقمح ام شعير فقلت له قمح مغربل ليس فيه ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه فلما فهم معناه فتهلل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور علي حتي انه * من عظم ما قد سرني ابكاني
ياعين قد صار البكا لك عادة * تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغ من البكاء قال لي ياشيخ ما اظن ان الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك يامولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذا هي عبرت علينا تخطر في قوامها وهي تنشد

نروكم لا تؤاخذكم بجفونكم * ان الكريم اذا لم يستزر زارا

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية ثم تقدمت الى الامير عمرو وقالت له يامولاي المثل يقول المعصفور يتفلى والصياد

يتفلى وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت بدور صدق الشيخ اعطاه الذي وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار يستحق والله اكثر من ذلك فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولني اياه واعطتني الست بدور منديلا ثم اني ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الامير محمد بن سليمان الزيني وقعدت عنده على عادتي وأخذت رسمي الذي عليه في كل سنة وعدت الي بغداد فما رأيت سنة ابرك منها حصل لي فيها اربعة آلاف دينار وهذا جملة الحديث فتعجب الخليفة وقال ما قصرت ياشيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار لانك انت الذي ازلت عني ما بقلبي فقال جعفر ومن عند أمير المؤمنين الف دينار لانه هو الذي ازال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى ثم انه قبض الالفي دينار ومضي الى منزله والله اعلم

وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

والقصة في ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحق بن ابي نور زاهر بن صقلاب قال بلغني انه كان لهرون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكي فقال له يوما لا يطيب لي ذلك الا بحضور اختي مبمونة ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك عليها الاباحة النظر من غير ان ايقربها فاتفق على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكي امراة تزين له الجواري كل ليلة فجاءت مبمونة لها وارشتها بمال فزينتها له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا مبمونة وقد كنت اسألك ان تساعدني على مودتك فتابى فلما آيست منك احتلت عليك بما رايت في هذه الليلة وان لم تواظب لا كونن سببا في سلب نعمتك وهل انت الا زوجي فقال لها جعفر ويلك اهلكتيني واهلكتي نفسك وكان كما قال ولم يزرها حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا ابتداء الحديث (قال) المبرد قال ابو عبد الله المارستاني عن يحيي بن اكثم القاضي قال سألت اسمعيل بن يحيي الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم اعرف صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك اني كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الي الصيد فبينا نحن نسير اذ نظرنا الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لي يا اسمعيل لمن هذا فقلت هو لاخيك جعفر بن يحيي

فالتفت يمينا وشمالا الى من معه فى موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الي الموكب
الذى فيه جعفر فلم يره فقال يا اسمعيل ما فعل جعفر وموكبه فقلت ياسيدى قد مضى
اخوك فى طريق ولم يعلم بموضعك فقال ما رأنا اهلا ان يزيننا بموكبه ويحملنا بجيشه
فقلت العفو يا امير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت
بما حضر لى من الكلام ثم سرنا حتي انتهينا ضيعة عامرة ومواشى كثيرة وعمارة
حسنة وكان الطريق يدور عليها فدرنا حتى وردنا باب القريه فنظر الرشيد الى البيدر
والى كثرة الغلال فيه والمواشى و يسار أهلها فالتفت الي وقال يا اسمعيل لمن هذه
الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم يزل يمر
بكل ضيعة اعمر من الاخرى وكلما مر وسألني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى حتى
سرنا و وصلنا الى المدينة فلما اردت وداعه والانصراف الى منزله نظر الى من كان
حواليه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا و بقيت انا وهو فقال يا اسمعيل قلت لبيك
يا امير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وأفقرنا اولادنا وأغفلنا امرهم فقلت
فى نفسي بلية والله قلت لما ذا يا امير المؤمنين قال نظرت لهؤلاء وغفلت عن هؤلاء لانى
لا اعرف لاحد من اولادى ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب
هذه المدينة فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذا الطريق فى سائر البلدان فقلت
يا امير المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات واموالهم وكل ما يملكون
لك فنظر الى نظرة جبار عنيد ثم قال ما عد البرامكة بنى هاشم الا عبيدهم وانهم
الدولة وان لا نعمة لبنى العباس الا والبرامكة انعموا عليهم بها فقلت امير المؤمنين
ابصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يا اسمعيل انك لتعلم انى قلت هذا وكانى
اك ان تعلمهم بكلامى فتتخذ ذلك عندهم يدا وانى آمرك ان تكتم هذا الامر فانه ما علم
به احد غيرك ومتى بلغهم شيء مما جرى علمت انه ما افشاه الا انت فقلت يا امير
المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلى يفشي سرك قال وكان هذا مقول اول ما ظهر من
امر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا فى ايقاع الحيلة عليهم فلما كان من الغد
بكرت اليه وجلست بين يديه وكان فى محل يشرف على الدجلة من شرقى مدينة باب
السلام و بازائه منزل جعفر من الجانب الغربى وكانت المواكب من جميع الاصناف

من قائد وأمير وعامل يردون فى كل يوم الى قصر جعفر فالتفت الى وقال يا اسمعيل هذا
ما كنا فيه بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ما على
باب دارى احد فقلت يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من هذا
وان جعفرا انما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش
على بابه فعلى باب من يكون وانما بابه باب من ابوابك فقال يا اسمعيل انظر الى دوابهم
الست تري اعجازهم الى قصرى وتورث بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو
الاستخفاف بعينه والله لا اصبر على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلا غيظ
فامسكت عن الكلام وقلت والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنا
فى الانصراف ورجعت الى منزلي فلقيني جعفر فى الطريق يريد الرشيد فتواريت عنه
حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش فى وجهه
وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وأنبلهم وأوضحهم واكملهم ظرفا كاتبا
حاسبا لبيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع فى قلبه اجل موقع وكلام دسيسا عليه وبلية
لديه يرفع اخباره الى الرشيد ويحصي عليه انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر
يومه ذلك وليلته واحتجب من اجله الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الي جعفر فسلمت
عليه فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيرى وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصي
علينا اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة افتأذن لى فى الكلام فقال تكلم وكان الرشيد
ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الغلام بايام وخلع عليه
وعقد له لواء وعسكر بالنهروان وضرب الناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر فقلت
يا سيدى انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة
فلو صبرت بعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك
نظر الي مغضبا وقال والله يا اسمعيل ما اكل الخبز الا بفضلى ولا قامت هذه الدولة الا
بنا اما كفى انى تركته لا يهتم بامر شيء من امر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملات
بيوت امواله اموالا ولا زلت للامور الجليلة ادبرها حتى يعد مينيه الي ما ادخرته
واختزنته لولدى وداخله حسد بني هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع والله لان سالنى شيأ
من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا سيدي ما كان مما ظننت شيء ولا تكلم

امير المؤمنين بحرف قال فاهذا الفضول منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلي
ولم اركب اليه ولا الى الرشيد لاني صرت بينهما في حالة تهمة وقلت في نفسي هذا الخليفة
وهذا وزيره واي شيء لي بالدخول بينهما ولا شك في زوال نعمة البرامكة وان امورهم
قد اتلمت قال وحدثني خادم ام جعفر ان الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب الى
الرشيد بما كان بيني وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما قرأ الكتاب
وفهم الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا في ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل في اليوم
الرابع على زبيدة فخلا بها وشكا لها ما في قلبه واطلعها على الكتاب الذي رفعه عليه
الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما انكت الحجة عليه بالغت في
المكر بهم واجتهدت في هلاكهم وكان الرشيد يتبرك بمشاورتها فقال اشيري علي برأيك
الموافق الرشيد فاني خائف ان يخرج الامر من يدي ان تمكنوا من خراسان وغلبوا
عليها فقالت يا امير المؤمنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق فان
كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت من غرقتك اخبرتك بما هو أصعب عليك وأعظم
من هذا بكثير وان كنت على الحالة الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولي
اسمع منك فقالت ان هذا الامر اخفاه عنك وزيرك وهو اصعب مما انت فيه واقبح
واشنع فقال لها ويحك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر ارجوان
الخادم وتشدد عليه وتوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد دخل جعفر محلا
لم يحله اخوه ولا ابوه وامره ان يدخل على الحريم في السفر والحضر وابرز اليه جواريه
واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوى امر أته زبيده فانه لم يكن رآها ولا دخل
عليها ولا قفى لها حاجة ولا هي ايضا تستقضيه حاجة فلما سدقلت الرشيد وعزم على
هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فخطت على جعفر انه يدخل على الحريم
في غياب الرشيد ويقضي حواجهن لانهن لا يستترن منه وكان ذلك بامر الرشيد
ما حدث من جعفر قال فخرج الرشيد واستدعى بارجوان الخادم واحضر السيف
والنطع وقال برئت من المنصور ان لم تصدقني في حديث جعفر لاقتلنك فقال الامان
يا امير المؤمنين قال نعم اعلم ان لك الامان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك في اختك ميمونة
ودخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ستة سنين والآخر خمس

سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذهما الى مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم وهي حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول الى بيتك وامرتني ان لا امنعه في
اي وقت شاء ليلا او نهارا قال امرتك ان لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم ار اخبرتني
اول مرة ثم امر بضرب عنقه على الفور ودخل على زبيدة وقال لها ارأيت ما عاملني به
جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس رأسي وفضيحتي بين العرب والعجم فقالت
هذه هي شهوتك واردتك عمدت الى الشاب جميل الوجه حسن الثياب طيب الرائحة
جبارا في نفسه ادخلته على ابنة خليفة من الخلفاء والله هي احسن منه وجها وانظف منه
ثوبا وأطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من جمع بين النار
والحطب فخرج من عندها مكروبا فدعا بخادمه مسرور وكان قاسي القلب فظا غليظ
نزع الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد العتمة فائتني بعشرة من الفعلاء
جلاد او معهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة جاء مسرور ومعه الفعلاء فقام الرشيد
وهم بين يديه حتى اتى المقصورة التي فيها اخته فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء
يعاتبها على ما فعلت وامر الخادمين بادخالها في صندوق كبير في مقصورتها بعد قتلها
ووضعتها بحليها وثيابها كما هي والمقل عليها وقد علمتا انها بعد قتل ارجوان لاحقة
به فلما علم انه استوثق بهادعى الفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفر وأوسط تلك
المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسي ثم قال حسبكم هاتوا الصندوق فدلوه في
تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل
الباب واخذ المفتاح معه وجلس في موضعه والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور
خذ هؤلاء القوم واعطهم اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم في جواليق وخيط عليها
بعد ان ثقلهم بالصخر والحصى ورماهم في وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين
يديه فقال يا مسرور فعلت ما امرتك به قال وفيت القوم اجرتهم فدفع اليه مفتاح البيت
وقال احفظه حتى اسألك عنه وامض الان فانصب في وسط المحل القبة التركية فقل
ذلك وأوفاه قبل الصبح ولم يعلم احدما يريد فلما جلس في مجلسه وكان يوم الخميس
يوم موكب جعفر قال يا مسرور لا تنتبا مدعني ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على
مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكي فسلم عليه فرد عليه السلام احسن رد ورحب

به وضحك في وجهه فجلس في مرتبته وكانت اقرب الراتب الى امير المؤمنين ثم
حدثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحي فقرأها عليه وامر
ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استأذن جعفر في الخروج الى
خراسان في يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من
النهار قال ثلاث ساعات ونصف واخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر في
نجمه فقال يا اخي هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا ارى لانه يحدث فيها حدث
ولكن تصلي الجمعة وترحل في سعودك وتبيت في البر وان وتبكر يوم السبت
وتستقبل الطريق بالنهار فانه اصلح من اليوم فارضى جعفر بما قاله الرشيد حتى اخذ
الاضطراب منجمه واقام واخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه وقال والله صدقت
يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رأيت نجما اشد احتراقا ولا أضيق مجرى
من البروج في مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله والنار والقواد والخاص والعام
من كل جانب يعظمونه ويعجلونه الى ان وصل الى قصره في جيش عظيم ومر ونهي
وانصرف الناس فلم يستقر به المجلس حتى بعث الرشيد مسرورا وقال له امض الى
جعفر وائتني به الساعة رقل وردت كتب من خراسان فاذا دخل الباب الاول اوقف
الجند واذا دخل الباب الثاني اوقف الغلمان واذا دخل الثالث فلا تدع احدا يدخل
معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل في صحن الدار فمل به الى القبة التركية التي
امرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتني برأسه ولا توقف احدا من خلق الله على ما امرتك به
ولا تراجعني في امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك ويأتيني برأسك ورأسه جملة
وفي دون هذا كفاية وأنت اعلم وتبادر قبل ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور
واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدي
أجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاح منه وقال ويلك يا مسرور أما في هذه الساعة
خرجت من عنده فما الخبر قال وردت كتب من خراسان يحتاج ان تقرأها فطابت نفسه
ودعا بثيابه فلبسها وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول اوقف الجند وفي
الثاني اوقف الغلمان ومال به الى القبة المضروبة في صحن الدار وأدخله فيها بالبلاء وقال
لمسرور ما الخبر قال انت تدري ما القضية وما كان الله ليهملك ولا ليغفلك فقدامر بي

امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل راسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدي
مسرور ورجليه ويقول يا اخي يا مسرور قد علمت لك كرامتي دون جميع الغلمان
والحاشية وان حوائجك مقضية في سائر الاوقات وانت تعرف موضعي ومحلي من
امير المؤمنين وما يوحيه الي من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عني باطلا وهذه مائة
الف دينار احضرها لك الساعة قبل ان اقوم من موضعي هذا وخلني اهيم على وجهي
فقال لا سبيل الى ذلك ابدا قال فاحملني اليه وأوقفني بين يديه فلعله اذا وقع نظره على
تداركه الرحمة فيصفح عني قال مالي سبيل الي ذلك ابدا ولا يمكنني مراجعته
وقد علمت انه لا سبيل الى الحياة ابدا قال فتوقف عني ساعة وارجع اليه وقل له قد
فرغت مما امرتني به واسمع ما يقول وعد فافعل ما المر يد فان فعلت ذلك وحصلت
الي السلامة فاني اشهد الله وملائكته اني اشاطرك في نعمتي مما ملكته يدي
واجعلك امير الجيش وأملكك امر الدنيا ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع في الحياة
قال له مسرور ربما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل اربعين غلاما
من السودان يحفظونه ومضي مسرور ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس يقطر
غضبا وفي يده القضيب المولع ينكت به الارض فلما رآه قال له ثكلتك امك
في امر جعفر فقال يا امير المؤمنين قد انفذت امرك فيه فاين رأسه قال في القبة
قال ائتني برأسه الساعة فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يعلم ان يصلي
الثانية حتى سل سيفه الذي اخذه وضرب عنقه وأخذ رأسه بلحيته فطرحه بين
يدي امير المؤمنين وهو يشخب دما فتنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكث
في الارض اثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويحاطبه ويقول يا جعفر ألم احلك
محل نفسي يا جعفر ما كافأتني ولا عرفت حقي ولا حفظت عهدي ولا ذكرت نعمتي
ولا نظرت في عواقب الامور ولا تفكرت في صروف الدهر ولا جسيت تقلب
الايام واختلاف احوالها يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب والعجم
يا جعفر رأسات الى والى نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال مسرور وانا
واقف بين يديه وهو ينكث في الارض في كل كلمة ولم زل كذلك الى اذن لصلاة
الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم التفت بوجهه
لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه وأخيه وجميع اولاد البرامكة وموالهم

وغلمانهم واستباح مافيه ووجه مسرور الى المعسكر فاخذوا جميع مافيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقي منهم لا يرجع الي وطنه وشتت شملهم في البلاد ولم يقدر أحد منهم على كسرة خبز وحبس اباه يحيي واخاه الفضل في مطمورة وأمر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد ثم بعث الي خراسان ان يوطن بلادها وأمر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر واستقرت له الامور واحضر علي بن عيسى بن هامان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فاتى بالصبيين ولدى فاتى بالصبيين ولدى جعفر من اخته ميمونة فادخلا عليه في بيته فلما رآهما أعجب بهما وكان في نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما شمية وفي ألفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك ياقرة عيني قال الحسن وقال للصغير ما اسمك ياحبيبي قال الحسين فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز علي حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدر يامايراد بهما ثم قال يامسرور ما فعلت بالمفتاح الذي دفعته لك وأمرتك بحفظه قال هو حاضر يا أمير المؤمنين قال فاتني به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وأمرهم أن يحفروا في البيت حفرة عميقة ودعا مسرورا وأمره بقتلهما ودفنهما مع أمهما في تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكي بكاء شديدا حتى ظننت انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وأمر ان لا تذكر البرامكة في مجلس ولا يستعان بمن بقي منهم في المدينة ابدا فخرجوا على وجوههم في البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه فيها خطاب وأبيات من الشعر فبحث عنها فقال ان صاحب السر عملها فبعث اليه فسأله عنها فقال يا أمير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا أعلم من طرحها فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة انها لك من بقي من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد أن يهلكه وزاد في جديده واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله أيضا وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه

القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين من عبد اسلمته ودنوته واوسقته عيوبه وخذله شقيقه من ورفضه صديقه وخانه الزمان وأناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الي الضيق بعد السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب كاس الموت مترعة وافترس السخط بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر وليله دهر قد عاين الموت سرارا وشارف الهلاك جهارا يا أمير المؤمنين قد أصابتني مصيبتان الحال والمال أما المال فان ذلك منك ولك وكان في يدي عارية منك ولا بأس برد العواري الى أهلها وأما المصيبة بجعفر فيحرمه وجراءته عاقبته بما استخف من أمرك

(ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بمن ذقتك قال بكم قال بألف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فأخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في امر يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة وأعوان الدولة وكان من شأنه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتمازحوا فمر طابو نواس ضرطة مزعجة أزعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك فقال له في الحال الله أعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يالملعون فأخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (ويحكى) ان الرشيد امر بقتل ابي نواس فقال أتقتلني شهوة لقتلي فقال بل انت مستحق للقتل قال فبم استحقيت القتل قال بقولك

ألا فاسقني خمرا وقل هي الخمر ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

فقال يا امير المؤمنين أفتعلم انه سقاني وشربت فقال له امير المؤمنين أظن ذلك فقال يا امير المؤمنين أفتقتلني على الظن وقد قال الله تعالى ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت ايضا ما تستحق به القتل فقال ماهو فقال له قولك

ماجاءنا احد بخبر انه في جنة من مات او في نار

فقال له هل جاءنا احد قال لا قال أتقتلني على الصدق فقال له الرشيد او است القائل

يا احمد المرتجى فى كل نائبة كن سدى نعص جبار السموات

فقال له يا امير المؤمنين او صار القول فعلا قال لا اعلم قال أفتفتاني على ما لم تعلم
فقال له امير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت في مواضع كثير من شعرك بالزنا قال
ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امير المؤمنين بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون.
ألم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون) فقال الرشيد خلوا عنه فقال

نحن الذى الكتاب مخبرا بعفاف أنفسنا وفسق الالسن

(وعن) محمد بن نافع قال رأيت ابا نواس في النوم بعد موته فقلت يا ابا نواس فقال لات
كفية فقلت الحسن بن هانى. قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لي بأبيات قلتها في
علي قبل موتي هي تحت الوسادة فسألت اهله فقلت هل قال اخي شعرا قالوا لا نعلم
الا انه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو فدخلت ورفعت وسادته واذا
أنا برقعة مكتوب فيها

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن فمن الذي يدعوا و يرجو المجرم
مالي اليك وسيلة الا الرجا وجميل عفوك ثم انى مسلم

(معن بن زائدة الشيبانى) كان من الكرماء وكان عاملا باليصرة فحضر على بابه شاعر
وأقام مدة الدخول فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير الستان فعرفنى
فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاه فى الماء الذي يدخل
البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها هذا البيت
مكتوب اباجود معن ناج معنا بحاجتى فليس الى من سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فانشدت البيت فامر له
بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع من الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى
أخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم
الثالث فعل بمثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما
كان معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان أعطيه
حتى لا يبقى فى بيت مالي درهم ولا دينار

ومن قول معن دعنى أهب الاموال حتى أعف الاكرمين عن اللئام (ويروى)

ان معن ابن زائدة خرج فى جماعة يتصيدون فاعترضوهم قطيع ظباء. فتفرقوا في طلبه
وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية على حمار
فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من ابن أنيت قال اتيت من ارض قضاعة
واتى لي بها ارضا لها عدة سنين مجدبة وقد اخصبت فى هذه السنة فزرعتها نباتة
فطرحت فى غير وقتها فجمعت منه ما استحسنته وقصدت الامير معن بن زائدة
مكرمه المشهور ومعروفه المأثور واحسانه المذكور فقال له كم أملت منه قال الف
دينار فقال ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار قال ان قال لك كثير قال ثلثمائة دينار قال
ان قال لك كثير قال مائتى دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير
قال خمسين دينار قال ان قال لك كثيرا قلا اقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال ادخل
قوائم حمارى فى حرامه وارجع الى اهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى
لحق بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقشاء فادخل به على فاتنى
بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلاله وكثرة خدمه وحشمه وهو
يتصدر فى دست مملكته فلما سلم عليه قال له الامير معن ما الذي اتى بك يا اخا العرب قال
ملت الامير واتيته بقثاة فى غير اوانها قال فكم املت فينا قال الف دينار قال كثير قال
قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال
مائة دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذى قابلنى على مشؤما ثم قال
خمسين دينار قال كثير قال املا اقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم الاعرابى
انه صاحبه فقال ياسيدى ان لم تعطنى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها انا معن جالس
فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال اعطه الف دينار وخمسمائة
دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا واودع الحمار
مربوطا مكانه فبهت الاعرابى وتسلم الفى دينار ومائة وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم
اجمعين (وقيل) كان معن ابن زائدة فى بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء واذا
الثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيئا من المال مع غلمانه فلم
يجده فدفع اكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت احداهن
و يلكن لم تكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات

فقالت الاولى يركب فى السهام نصول تبر ويرمى للمدا كرما وجودا

فلم يرض علاج من جراح ... واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية ومحارب من فرط جوده بنانه ... عمت مكارمه الاقارب والعدا

صيغت نصول سهامه من عسجد ... كي لا يفوته القارب الندى

قالت الثالثة ومن جوده يرمي المطداة باسهم ... من الذهب الابريز صيغت نصولها

لينفقها المجرح عند انقطاعه ... ويشتري الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة (فمن) ذلك انه سعى رجل في افساد دولة المهدي وكان من الكوفة فعلم به المهدى فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر في بغداد فبيناهو في بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادى هذا طلبة أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حول خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو معن بن زائدة فقال يا ابا الوليد أجرني اجارك الله فوقف فقال للرجل الذي تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبة امير المؤمنين أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام اردفه فاردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل معن حال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان اتى قصر المهدى فامر الرصدى باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن أولاده وعياله وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم يعيش ثم سار الى المهدى فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن انجير علينا عدونا قال نعم يا امير المؤمنين قال المهدى ونعم واشتد غضبه فقال معن يا أمير المؤمنين بالامس لمعنى الى اليمن مقدم الجيش فقتلت في طاعتك في يوم واحد عشرة آلاف رجل ولي مثل هذا أيام كثيرة فما رأيت لي أهلا ان اجير رجلا واحدا استجارني ودخل منزلي فسكت غضب المهدي وقال قد أجرناه من أجرت يا أبا الوليد قال معن فان رأى امير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضا فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد أمرنا له بخمسين الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية قال قد أمرنا له بمائة الف درهم قال عجلها يا امير المؤمنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة امير المؤمنين وقبل يده واياك ومخالفة خلفاء الله في ارضه فما كان مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا واخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى (وكا معن لا يغيظ احد اولا احدا يغيظه فقال بعض الشعراء انا اغيظه لكم ولو كان قلبه من

حجر فراهنوه على مائة بعير ان اغاظه اخذها وان لم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من نعل الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدى معن على هذه الصورة المنفرة ومد رجليه في وجهه وقال

فمنك الجود والافضال حقاً * وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخمسمائة دينار ومازال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألفي دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال في نفسه مثل هذا لا ينبغي ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له على هجرة المائة بعير التي صار الرهان عليها في نظير اغاظته فأمر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهان وبمائة أخرى لنفسه فأخذها وانصرف والله أعلم

(خلافة المأمون بن الرشيد واسمه عبدالله)

(روى) بعض أهل الادب ان فتى من أهل الكوفة قد فاق أهل زمانه في الادب والفصاحة فضاق صدره وعيل صبره فخرج الى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكه وملكه وتربص لذلك ان يري وجها الى ان عزم المأمون ان يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المأطون بالاستعداد ليوم سماء ليخلو مع الجواري فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل في ذلك على المأمون وأخيه المعتصم فمضى الى اخوانه وأصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزروبة ومن آخر منطقه وخفا وسيفا ومن آخر بردونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير اني رسول امير المؤمنين واستأذن لي عليه فمضى الحاجب عدوا حتى أخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه وقال له سيدى ان امير المؤمنين يقريك السلام ويقول لك انسيت الوعد المقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة وتمت نومة لاتقوى بذلك

على انتصاب سائر النهار فقال الفتي فمجل الان ايها الامير فانه أمرني بالافارقك حتى
آتيه بك فامر المعتصم باسراج مركوبه وأسرع في الذهاب ولبس ثيابه وتطيب وركب
الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيئا من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيأته ولم يتوهم الا انه
من بعض خواص المأمون وأخذ الفتى يحدث المعتصم و أقبل عليه بكليته ولم
يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه على دابته
وأخذ يمشي بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيئا ويظنون انه من خدم المعتصم حتى
نزل وأخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر في مجلسه جلس الفتى بين يديه وهو
منهمك في نوادره وأخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه وأخبر
المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال المأمون اخي قد عرف
هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغي ان يحضره احد من الناس الا من هو عديل النفس وقد
حسن اخي اذ جعل لنا ثلاثا فان المجلس اذا لم يحضره اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما
الي الصلاة والى مالا بد منه ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام
واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما استقر على سريره والفتى عالم بما وقع في نفس
المأمون وعاد الى المأمون نهض قائما فقبل يد مجلسه واخذ في نواره وحديثه
ومضحكاته وحسن اخباره وغائب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم
المأمون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون
واظهر الحسد لاخيه في صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المأمون باحضار المائدة
فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم والمجلس الشراب انتقلوا وامر المأمون
باحضار الجوار ومن غير ستارة فحضرن واخذن في الغناء فما من صوت يمر الا والفتى
عارف به وبالغناء ومتى قيل وفيمن قيل فمزق في عين المأمون حتى ملا عينه وتزايد حسده
في صحبة لاخيه مثله فمس الفتى بول ولم يجد المافضة سبيلا فقام وهو متيقن انهما
يتوصفان امر حاله اذا خلا المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما سيذكر انه قال
المأمون لاخيه المعتصم يا ابا اسحق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا قط اكثر منه
فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاءني مبكرا برسالة امير المؤمنين فقال المأمون
لك بالله يا اخي اهو كذلك فقال اي والله الذي لا اله الا هو فقال المأمون طفيلي

ورب الكعبة وغضب وامر الجواري بالنهوض فنهض واقبل الفتى راجعا فلما نظر
الى خلو المجلس من الجواري والى تغير وجه المأمون وقف على رأس المجلس واقبل
بوجهه على المعتصم وقال يا ابا اسحق كاني بك قد اخذت في نوع الزور والبهتان وما
هكذا ارعدتني ثم قال والله يا امير المؤمنين ما بليت من احد الناس مثل ما بليت من هذا
لانه دائما ابدا يعرضني لمثل هذا واشباهه ويغري بي ويوقعني في كل ورطة من ملاعبتك
التي لا تحتمل وتؤدي الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل يأتي بهذا وامثاله حتى شك
المأمون في امره والتفت الى اخيه المعتصم وقال سألتك بالله يا اخي بحياتي عليك الا ما
اعلمتني بحقيقة امره فقال المعتصم يا امير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك
وولايتك ان كنت اعرفه او رأيته قط الا في يومي هذا فقال الفتى كذب والله يا امير
المؤمنين لقد كنت معه دهري الطويل وفي موضع كذا وكذا وان هذا فعله معي
ابدا فضحك المأمون تعجبا وقال ادخل فدخل وامره بالجلوس فجلس ثم قال لك
الامان ان تصدقني فصدقه الحديث على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف
فدخله ودقيق تصرفه وامر باعادة الجواري في مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له
المأمون اخبرني باعجب ما لحق في قدومك من الكوفة الى بغداد

(وفي حياة الحيوان) قال رأيت في بعض مجامع بخط بعض العلماء لا كابران المأمون
اشرف يوما من الايام فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره
فقال المأمون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به فبادر
الخادم الى مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا قد كتب هذه البيتين

يا قصر جمع فيك الشؤم واللؤم متى يعشش في اركانك البوم
يوما يعشش فيك اليوم من فرحي اكون اول ماينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال
الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فمثل بين يدي امير المؤمنين والله اعلم بما كتب فقال
له المأمون ويلك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من
خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والاوانى والامتعة
والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويحزعنه فهمي واني يا امير المؤمنين

قد مررت عليه الا انا في غاية من الجوع والفاقة فتوقفت متفكرا في امري وقلت في
نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم
رخامة أو خشبة أو مسمارا ابيعه واقوت بثمنه أو ما علم امير المؤمنين رعاه الله فما حكاه
قال لما دخل المامون الري في طلبي اثقل على الطلب وجعل لمن دل عليه واتاه به مائة الف
درهم فخفت على نفسي وتحيرت في امري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما
صائفا وما ادري اين اتوجه فمررت بذقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على اثري تعلموا بي فرأيت في صدر
الزقاق عبدا اسودا قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له عندك موضع اقيم فيه
ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر نظيفة وبسط
ومخدات فجلست ثم انه اغلق على الباب ومضى فخفت ان يكون سمع الجمالة في حقي
وانه عرفني ومضى ليدلهم على فبقيت مثل الحبة في المقلاة فلما مضى من الخوف فبينما
انا كذلك اذا اقبل ومعه حمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة
وجرة وكيزان جدد ثم التفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا اعرف
انك تنفر مني لما اتولاه من معيشتي فشانك بعالم تقع عليه يدي وكان لي حاجة الى
الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت اني اكلت مثلها فلما قضيت اربي قال لي هل لك
ان تشرب شيئا فانه يسلي الهم ويزيل الغم ويمهد للنفس الفرح قلت ما اكره ذلك رغبة
في مؤانسته فاتى بقطربين جديد وحضر لي بقلاوة كهة في أوان جدد من فخار ثم
قال بعد ذلك ان اذنت لي جعلت فداك ان اقعد بناحية منك وآتي بشراب فاشرب
مسرورا بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا ثم دخل الى خزانته فاخرج عودا مصلحا
ثم قال ياسيدي ليس من قدري ان اسالك ان تغني ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي
فان رأيت ان تشرف عبدك بانني تغني لنفسك والعبد يسمع فافعل فقال له ومن اين
لك اني احسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم بن
المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن يدل عليك مائة الف درهم قال ذلك
عظمت مروءتك عندي وعلمت ان نحوته اجل مما يدل فتناولت العود فاصلحته
وقد مر بخاطري ذكر أهلي وولدي فقلت

وعسى الذي اهدي ابوسف أهله ... وأعزه في السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا ... فالله رب العالمين قريب

فقال ياسيدي اجعل ما تغنيه مما اقتضيك به قلت نعم غن لي

ان الذي عقد الذي انعقدت ... عقد المكاره فهو يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة ... فلعلها ان تنجلي فلعلها

فحسن عندي اقتراحه وشربت ثم قلت غن لي

وراء مضيق الخوف متسع الامن ... واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا ... خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وقلت غن لي

اذا الحادثات بلغن النهى ... وكان لهن تذرب المهج
وحل البلاء وقبل العزاء ... فعند التناهي يكون الفرج

فغنيته وحسن في نفسه فيضا به وانست به واستطرفته ثم قال اني رايت ياسيدي ان
تأذن لي ان اغني ما خطر ببالي وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك
زيادة في ادبك ومروءتك فاخذ العود ثم قال دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم ... سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا مادنا الليل المضر بذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقوا مثل ما ... يلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب ما كان عندي من الفزع وسألته يغني فغنى يقول

تغيرنا انا قليل عددنا ... فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا ... عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة ... اذا ما رانه عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد أجاب وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به واخذني
من الطرب ما لا مزيد عليه وعالجني النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد المغرب

وجال فكري في هذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه واراداته ان يسليني
عما انا فيه واشارته الي تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهي
وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها اليه
وقلت له انت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك واسألك ان تصرف ما في هذه
الخريطة في بعض مهماتك عندي اذ آمنت المزيد فاعادها على مبادرا وقال ياسيدي
الصعلوك منا لا قيمة له عند اهل الرياسات يظنون فيه الظنون الرديئة فاخذ على مارهبني
الله من قربك وحلولك في منزلي تمالا والله فالحت عليه فاخذ موسى لهذه وقال والله
ان راجعتني لاتخون نفسي فخشيت علمها واخذت الخريطة واتقلني حملها فلما انتهيت
الى باب الدار قال ياسيدي ان هذا الوضع اخفى لك من غيره وليس عندي في مؤنتك
ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسألته ان يكون متقما على تلك الخريطة
فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل بي اليوم الاول قال فاقمت في اطيب عيش
واهنئه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركني ومضى يجدد لنا حالنا
فلبست ثيابي وتزينت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق
داخاني من الخوف والفزع امر شديد ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قدرش ورجل
يأتم فابصر بعض من كان في خدمتي من الجند فتعلق بي وقال طلبه امير المؤمنين فدفعته
في صدره فوقع في الزقاق وصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت
الجسر ودخلت زقاقا فوجدت بابا وامرأة واقفة فقلت ياسيدة النساء احقني دمي فاني
رجل خائف فقالت ادخل فدخلت فاطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما
وقالت ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو اقمت سنة ما عليك باس واذا بالباب يدق
فخرجت وفتحت الباب واذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوح
الراس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ما دهاك قال ان حديثي عجيب وامري غريب
ظفرت بالفتى وقد افلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم ابن المهدي لقيته
فتعلت به فدفعني فاصابني ما ترين من حالي ولو حملته الى امير المؤمنين لاخذت منه مائة
الف قال فأخرجت له جرفا ودروا وفرشت له بعد كيس جرحه فنام قليلا وطلعت
وقالت أظنك صاحب القصة قلت نعم فقالت اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة

واقمت عندها ثلاثة أيام ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على امرك
فيثم عليك فانج بنفسك فسألتها امهالي الى الليل فلما دخل الليل لبس زي النساء
وخرجت من عندها واتيت لبيت مولاذا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله
تعالى على سلامتي وخرجت كانها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام
للضيافة فظننت خبرا فلم أشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجاله والمولاة معه حتى سلمتني
اليه فرأيت الموت عيانا وحملت مثلي ما انا الي أمير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وامر بادخالي
عليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لي لا سلمك الله ولا حفظك ولا
رعاك فقلت ياأمير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى وما
تناولته يد الاقدار بما مدلة من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعلك الله
فوق خلقه واصبح عفوك فوق كل ذي عفو فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك
وانشدت تقول

ذنبي اليك عظيم ... وأنت أعظم منه ... فخذ بحقك اولا ... فاصفح بحلمك عنه
ان كن في فعالي ... من السكرام فكنه

قال فرفع رأسه فقلت مبتدرا

اثبت ذنبا عظيما ... وانت للعفو اهل ... فان عفوت فمن ... وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرأيت روائح الرحمة في شمائله ثم اقبل على اخيه ابي اسحاق
محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون في امره فاشار
بكل بقتلي الا انهم اختلفوا في القتل فقال المأمون لاحمد بن ابي خالد ما تقول ياأحمد
فقال ياأمير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك في العفو
فنكس المأمون رأسه الي الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع راسه وقال

قومي هموا قتلوا اميم اخي ... فاذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المامون لا باس عليك ياعم فقلت ذنبي ياامير المؤمنين اعظم من ان افوه معه
بعذر وعفوك اعظم من ان نطق معه بشكر ولكن أقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها ... في صلب آدم للامام السابع ... ملئت قلوب الناس منك
مهابة

وتظل تكلؤهم بقلب خاشع ما ان عصيتك والفواة تدنى اسبابها لا بنية طائع

وعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع اليك بشافع

ورحمت اشبالا كافراخ القطا وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعتك

رددت مالى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد حقنت دمى

آمنت منك وقد خولتنى فمما نعم الحياتين من موت ومن عدم

فلو بذلت دمى أبغى رضاك به والمال حتى أسل النعل من قدمي

وان جحدتك ما أوليت من نعم انى الي اللؤم اولي منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما لتردوهذا منه وأمر لي بمال وخلع على وقال يا عم ان اسحق والعباس اشاروا بقتلك فقال انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن فعلت ما أنت أهله ودفعت ما خفت اتمادفعت بما رجوت فقال المأمون لقدمات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المامون طويلا ثم رفع راسه وقال يا عم اتدري لم سجدت ملت شكر لله تعالى على ما اوقعك عليه وملكك ايادي فى يدك تفعل بى ما تشاء فقال لى اخطأت ولكن اشكر الله تعالى على ما الهمنى من العفو عنك من قبل نفسي ثم قال واعظم من عفوى عنك انى لم اجرعك مرارة امتنان السامعين فحدثنى بما كان امرك فشرحت له ما جرى لي مع الحجام والجندى وزوجته والموالاة التي اسلمتني فامر المامون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال المامون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم نعامك عليه قال رغبة فى المال قال هل لك من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط واخذ بتخليدها فى السجن ثم احضر الجندى وامراته والحجام فسال الجندى عن السبب الحامل على ما فعل قال رغبة فى المال فقال انك اولي بان تكون حجاما من ان تكون خداما ووكل من يلزمه الجلوس فى مكان الحجام ليتعلم الحجامه واحسن الى امراته وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امراة اديبه تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندى وما فيها فخلع عليه واثبته برزقه فى الديوان وزيادة الف دينار فى كل سنة ولم يزل كذلك الي ان مات والله اعلم (وعن محمد بن عبد الله) قال حدثنا احمد بن محمد الحريري قال كان لحمنة بنت عبد الله الهاشمى من الاموال مالا يسعه الديوان ولا تاكله النيران لكثرته

وكانت أأدب نساء بني هاشم وافصحهن لسانا وأفولهن شعرا فدخلت على المامون يوما وكانت تحبه غاية الحب سرا وكان المامون جالسا فى ايوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه أحد من الخلفاء قبله وكان قد تالق فى بنائه وكان فيه من صورة البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه ستورا من الحرير الصينى وقد أقام فيه بار بعمائة وصيفة بقراطق الحرير وقد لبس الوشى بطرر وشعور واصداع وهن بقدارد واحد لا يزيد الواحدة منهن على الاخري اقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره فقال يا حمنة هل كان لابيك او لبعلك او لاحد من الخلفاء مثل الايوان مع فرشه ومثل هؤلاء الجواري مع زينتهن فقالت يا أمير المؤمنين متعك الله به وعمره بك فلقد اوتيت ملكا عظيما ستاهله لترفك وشرفك فان اجبت خادمك حمنة جلستك فى مجلس لم تجلس فى مثله قط واصادنك صيدا لم تصد مثله قط واسقتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيي بن اكثم فقال لها يا حمنة قد اجبتك الى ما سألتيني ولكن لا ينفعني ولا يهنسالي ذلك الا بشهد من يحيى بن اكثر فانه لا يطيب لى مجلس الا به فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم ضربت يدها بجيبها فاخرجت منه مخزنة من ذهب احمر محشوة مسكا ازفر فدفعها الى يحي وقالت يا يحي ان الاجير لا يعمل حتى يستوفى اجرته وهذه اجرتك منى لكن مستحثا لى امير المؤمنين غدا عند الزوال فى المسير الى منزل خادمته فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيات ما تحتاج اليه للمامون وغيره فلما كان من الغد جلس المامون فى مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت فى كبد السماء قال يحي يا أمير المؤمنين والحاجة التى عرضت عليك الامس فقطن المامون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحي مثل ذلك ودعا بحمارين مصريين بناشيتين وركبوهما حتى اتا دار حمنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الي بيت فى بستان قد حمل على اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا فى صدر البيت اربعة اسطر منقوشة بالدر وصنوف الجواهر وهى

ما سرني ان فؤادى ولا ان لساني بالمدام حلا وان لى ملك بني هاشم

يحى لي اول اولا ان لم اشاهدك ايا مالكي تاتي الى بيتي كدامة بلا

ياسائلي روحي بلا علة انت المداني واذا المبتلي

فقال المامون يحي ما ملك يحد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه ار
محفور ومنقوش باللالىء واذا فوق الارمني مطارح من الديباج الاخضر حش
حواصل الريش وفي البيت المسك والعنبر والكفور والصندل والزعفران
والند والعود مصفوف في اوان الذهب والفضة وهي تفوح منه لا يدري ما
من طيبها ثم اخرجتهما الى البيت قال هذا الا سحر دعت لها بمائدتين
الجزع اليماني قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الوان الغريبة فقا
المأمون مطعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا أيديه
ثم أمرت بشراب فقدمت اليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور
شراب قد أتت عليه الاعوام والايام فهي يحكي الهواء لرقتها والياقوت لحمرتها
والزنجبيل لحدتها ووضعت بين أيديهما مع أقداح وانطال نشا كل ذلك فقال المأمو
والله ما رأيت مثل هذا قط ثم أخرجت جاريتين عليهما ثياب الوشي الكو
المنسوج بالذهب وعلى رؤسهما مقانع رشيديه وتيجان الذهب مكللة بالجوهر فجلس
وفي حجرهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجي مليح
من أنواع الاغاني وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة بعيني فيها
غرائب الطيب والجوهر فقال يحي وقد بقي لنا يا أمير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو
يا يحي قال الصيد يا أمير المؤمنين قال قد صدقت يا يحيى ثم قال يا حمنة ما فعل الصيد فقالت
قوما اليه فقال المأمون ويحيي حتى دخل بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت البستان
باحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه ألوان الطيور من الفاخته والقمري والهزار
والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار وتغرد بالسر والاجهار
وكانت قد زينت مائة جارية نواهد ابكار بطرز وشعور وخدود ومباسم ساطعات
الانوار ترى كل واحدة منهن أنهى من صاحبتها وأحسن وعليهن من ألوان الثياب
ما يعجز عنه الوصف وفي وسطهن مناطق الذهب الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن
اذا رأيتن المامون ويحيى تهادين ما بين الاشجار فلما دخل المامون ويحي البستان

فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور على المامون ثم قال يحيي ما رأيك في هذا
الصيد يا أمير المؤمنين فقال المامون لو كان لنا كلب لاصدنا هؤلاء فقال يحيي أنا كابك
يا امير المؤمنين فعدا المامون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت حمنة سالتك بحق
اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا يبخل بهن عليك وقد فهمت المعنى فيه
وقد كانت حمنة تغار على المامون فخلى عن الجواري اه قال ليحيي دونك والصيد اذن
أنت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت هؤلاء فقال المامون انا كلبك فضحك
يحيي وضرب بقدمه الارض وعدا خلفهن فاخذ منهن خمسة فقالت حمنة يا يحيى
لك الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المامون لحاجتي اليه فقال يحيى والله يا امير
المؤمنين لقد رايت الهوى الغالب في حمالق عينها ولا تتم لنا النعمة الا بتزويجك
اياها ان رايت ذلك فقال المامون انا بري، من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنتصف
من جدي العباس ان ذهبت من البستان ولم أتزوجها ثم قال يا يحيى وخطب خطبة
النكاح فخطب يحيي وامهرها المامون الف الف دينار واقطعها مائة من منتخبات
الضياع فحمدت حمنة الله سرورا بما ظفرت به من تزويج المامون اياها وامرت ليحيى
بعشرة الف دينار ورجع المامون الي منزله وزفت اليه في تلك الليلة فواقعها فحملت
بالعباس ابنه انتهى (وحكى) ان المامون خرج يوما على زبيدة ام الامين فرآها
تحرك شفتيها بشيء ولا يفهمه فقال لها يا اماة أتدعين على لكوني قتلت ابنك وسلبته
ملكه فقال لا والله يا أمير المؤمنين قارفا الذي قلتيه قالت يعفي أمير المؤمنين فالح عليها
وقال لا بد ان تقوليه قالت له قلت قبح الله اللجاجة قال وكيف ذلك قالت لاني لعبت
يوما مع امير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا فغلبني فامرني ان اتجرد من
اثوابي واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له اموالا تحصى فلم يعف عني فتجردت
من اثوابي وطفت القصر عريانة وانا حقدة عليه ثم عاد ودنا للعب فغلبته فامرته ان
يذهب الى المطبخ ويطأ أقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفاني عن ذلك فلم اعفه فنزل
لي عن خراج مصر والعراق فابيت وقلت والله لتطأنها فالحت عليه اخذت بيده
وجئت به الى المطبخ فلم ار جارية اقبح ولا اقذر ولا اشوه خلقة من املك مراحل
فامرته ان يطأها فوطئها فعلمت منه بك فكنت سبب القتل ولدي وسلبه ملكه

فولى المأمون وهو يقول قاتل الله اللجاجة اى التى لجها عليها حتى اخبرته بهذا الخبر
انتهى (وروى) عن عامر القهروى عن اشياخه قال امر المأمون ان يحمل اليه من
اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رمواعنده بالزندقة فحملوا اليه فمر بهم طفيلى فرآهم
مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل
ودخل الزورق وقال لاشك انها نزهة فلم يكن الا يسير وقد قيد القوم وقيد معهم
فعلم انه وقع فيما لاطاقة له به ورام الخلاص فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد
وادخلوا على المأمون فاستدعى بهم باسمائهم واحدا وجعل يذكره بفعله ويقوله ليضرب
عنقه حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العشرة فقال المأمون للمتوكل من هذا فقال
لا اعلم يا امير المؤمنين غير انى رايته معهم فجئنا به فقال يا امير المؤمنين امره اطلق ان
كان يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير لا إله إلا الله محمد رسول الله وانما رايتهم
مجتمعين فظننت انها وليمة يدعو اليها فخلقت بهم فضحك المأمون وقال او قد بلغ من
شؤم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل قد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن يؤدب
حتى لا يعود لمثلها وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا امير المؤمنين هبه لى وانا احدثك
عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير
المؤمنين خرجت متنكرا يوما الى سكك بغداد واستهوى بى الطرب والتفرج
فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابار يزقد فاحت وهفت نفسى
اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه
كف بمعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام لذاك الكف
فاخذت فى عمل الحيلة الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد
على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال الرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال
فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحاب تجار مثله فبينما نحن
فى الكلام اذا اقبل رجلان فقال لى هذان ندماؤه فقلت له ما اسمهما وما كنيتهما فقال
لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت وراءهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداءكما
لان اعزه الله ولم ازل معهما حتى اتيت البيت ودخلت ودخلا فلما رآنى صاحب
بيت بينهما لم يشك فى انى معهما فرحب بى واجلسنى فى افضل الاماكن ثم جىء
بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض

منها بقى الكف والمعصم ثم جىء بالماء فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا
شكل مليح ما رايت احسن منه ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطف بى
ويقبل على لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على الحالة هذه الى ان شربنا فخرجت علينا
جارية كانها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت عن غير خجل ولا
احتشام وجلست وانى بعود فجسته حسن جس فاذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت
تقول

توهمها فكرى فاصبح خدها ... وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
وصافحها كفى فألم كفها ... فمن ضيم كفى فى انامله اعتر

فهيجت يا امير المؤمنين يا ايا لى فاطربت لحسن شعرها ورقة شعر
اشرت اليها هل عرفت مودتى ... فردت بطرف العين انى على العهد
فحادت عن الاظهار عمدا بسرها ... وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحدثتها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابنى من
الطرب الذى لم املك نفسى معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان يتايضمنا * واياك لا تلهو ولا تتكلم * سوى اعين تبدى سرائر انفس
وتقطيع انفاس على النار تضرم * اشارة افواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان
وكف يسلم فزاد حدى لها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر
لانها لم تخرج عن المعنى وقلت بقى عليك يا جارية شىء فرمت العود من يدها وقالت
متى كنتم تحضرون الغناء فندمت على ما كان منى ورايت القوم كانهم قد انكروا على
فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما ات وما احببت ان تلاقى قضيتى فقلت انى عود غير
هذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما ردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا ... اصمن ام قد بالبلاء بليا

فما اتممت شعرى حتى وثبت الجارية الى وانكبت على يدى تقبلها وتقول المعذرة
اليك يا سيدى والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادا كرامى
وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غيبتهم ايانا فرايت من طربهم شيأ
عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم

ـــأل الرحمن راحته ... مما به واليد الاخري على كبده

يامن يرى كلفا في حبه دنفا ... كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الفناء والذي كنا فيه ليس بشيء وشرب القوم فلما جاءهم البسط وأخذ المجلس منتهاه أمر صاحب البيت عبدين له أن يحفظا الندمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله يا سيدي ذهب ما مضى من عمري باطلا حيث لم أعرفك قبل يومي هذا فبالله يا مولاي من أنت فجعلت ارد عليه وهو يقول ويقسم علي حتى اعلمته من أنا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجيب ان تكون هذه المكارم لانامثلك وقد أصابني من الدهر نعم لا أقوم بشكرها ثم قال يري هذا يقظة أم منام أقسمت اني لا أزال هذه الليلة قائما الي أن تأذن لي فاني احقر من ان اجالس الملوك فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ في الكلام وجعل يعرض لذي اوجب علي السبب حضوري عنده بالطف تعريض فاخبرته بامري على الحقيقة ولم اخنه شيأ ثم قلت له الطعام قد نلت منه بقيتي وبقي الامر الاخر فقوته الي باب قاعة وقال كل منكن تلبس افخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعي وجعل يقول يا بلانه وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وانا لا ارى صاحبة الكيس والمعصم لانهن اربعون امرأة فقال والله ما بقي الا اختي وما انا مخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم استدعا فنزلت فرأيت بديها ومعصمها فاذا هي التي رايتها فقلت هذه الحاجة قام من غلمانه لوقته ان يأتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين الف درهم والفا اخري فلما حضروا قال لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب اختي فلانة واشهدكم اني قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الالف دينار التي كان اخرجها لهم فشكروا له ودعوا له ثم قال يا سيدي امهد لك بعض البيوت لتنام مع اهلك فاعجبني ما كان من كرمه واستحييت ان ادخل بها في داره فقلت له ان اجعلها في عمارة واحملها الي منزلي فوحقك يا امير المؤمنين لقد جعل معها الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا امير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلي وامر باحضار الرجل واستطعه فاعجبه حسن منطقه وعقله وادبه وصيره من جملة خواصه وندمائه والله اعلم

(ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هرون الرشيد)

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ما كان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة وثبات الاقدام (قيل) انه اصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه عنيدا فلم يقدر احد على اخراج يده وامساك يده فاوتر المعتصم في ذلك اليوم اربعة الاف قوس وكان يدعى المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن اوس الطائي يمتدحه

ان جس عودا رايت الخيل راقصة ... كأنها من سماع هزها نعم

او حركت له يده اليمنى له وترا ... على اعاديه غنى اليوم والرخم

كان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك احمد بن حنبل حتى ان يقول ذلك فلم يقل وله معه كلام طويل انظره في حياة الحيوان (ومن لطايف الحكايات) ما روي عن احمد ابن داود القاضي انه قال جئ بتميم بن جميل الي المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه فما رايت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سراه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه فاعجبه حسنه وقده وشبه الى الموت غير مكترث فاطال التفكر فيه ثم كلمه لينظر اين عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال ماذا اذن امير المؤمنين في الكلام فاني اقول (الحمد لله الذي احسن كل شيء وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعب المسلمين واخمد بك نار الباطل وانار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة في تصدع القلوب وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن لافيك وهو شبه بك واليق ثم انشد يقول

اري الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيث لا اتلفت

واكبر ظني انك اليوم قاتلي ... واي امرء عما قضى الله يفلت

ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت

وما جزعي من ان اموت وانني ... لا اعلم ان الموت شيء مؤقت

ولكن خلفي مصيبة قد تركتهم ... واكبادهم من حسرة تتفتت

كأني اراهم حين انعى اليهم ... وقد لطموا حر الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا في سرور ونعمة ... اذود الردي عنهم وان مت موتوا

فكم قائل لا ابعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكي المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يا تميم
كاد والله ان يسبق السيف المدى قد غفرت لك الهفوة و وهبتك الصبية ثم عقد له ولاية
على عمله واعطاه خمسين الف دينار (وذكر) صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغني قال
تطفلت تطفيلة قامت على امير المؤمنين المعتصم بتسعين الف درهم قيل له وكيف ذلك
قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما اصبحنا قلت له يا امير المؤمنين ان رايت ان
اخرج الى الرصافة فاتنسم الى وقت انتباه امير المؤمنين قال نعم فأمر البوابين ان
يتركوني فخرجت اتمشى في الرصافة واذا بجارية كان الشمس تشرق من
جبينها فتبعتها ورايت معها زنبيلا فوقعت على فاكهاني واشتريت منه فرجلة بدرهم
وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتني فقالت يا ابن الفاعلة الى اين قلت خلفك يا سيدتي
فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك احد فيقتلك فاخرت ومشيت وتمشيت امامي
ثم التفتت فرأتني فشتمتني شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت فيها وجلست وانا
عند الباب وقد ذهب عقلي ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فلم البث ان جاء فتيان
كانهما بدران على حمارين فلما وصلا الى الباب اذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا
ان صاحب المنزل قد دعاني وجيء بالطعام فاكلنا وغسلنا ايدينا فقال لنا صاحب المنزل
هل لكم في فلانة فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هي
صاحبتي ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته في حجرها ففتحت وشربوا وطربوا
وهي تلاحظني وتشك في فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي مخارق فلم البث ان
قلت يا جارية شدي يدك فشدت اوتارها وخرجت عن انقاعها الذي تقول عليه قال
فاستدعيت بمدورة وقضيت وغنيت الصوت الذي قالته الجارية ففاروا الي وقبلوا
راسي وكان مخارق من احسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم
غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم تطير فقالوا بالله من انت يا سيدي
فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك قلت طفيلي اصلح الله شانكم واخبرتهم بخبري
فقال صاحب البيت لصديقه اما تعلمون اني اعطيت في هذه الجارية ثلاثين الف
درهم فامتنعت من بيعها قالا نعم قال هي له فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك
عشرة آلاف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت

بها وكلما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يا ولاتي اميدي كلامك فاستحي
مني فحلف عليها لتعيدنه فعيده حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل لي انه انتبه
فطلبك في منازل ابناء الفواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدي
في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا امير المؤمنين لا تعجل وحدثته الحديث
فضحك وقال نحن نكافئهم عنك وحصرهم وامر لكل واحد منهم بثلاثين الف درهم
والله اعلم انتهى (حكاية غريبة عن محلها) قال الاصمعي دعاني بعض العرب الكرام
الى قرى الطعام فخرجت معه الى البرية فاتوا بباطية باذنين وعليها السمن غارق فجلسا
للاكل واذا باعرابي ينفس الارض نفسا حتى جلس من غير نداء فجعل ياكل
السمن يسيل على كراعه فقلت لاضحكن الحاضرين عليه

كانك اثلة في ارض هش اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الي بعين مبحلقة وقال الكلام انثى والجواب ذكر وانشد

كانك بعرة في است كبش مدلاة وذاك الكبش يمشي

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر أو ترويه فقال كيف لا اقول الشعر وانا امه
وابوه فقلت انا عندي قافية تحتاج الى غطاء فقال هات ما عندك فغطست في بحور
الاشعار فما وجدت اصعب من الواو والمجزوم فقلت

قوم بنجد قد عهدناهم سقاهم الله من النو

قلت اتدري النو ماذا فقال باتوا تلالا في دجى ليلة حالكة مظلمة لو

قلت لو ما دا فقال لو سار فيها فارس لاتئني على بساط الارض منطو

قلت له منطو ماذا فقال منطوى الكشح هضيم الحشا كالبز ينقض من الجو معلو

قلت له الجو ماذا فقال جو السماء ذو الريح تعلو به اشم ريح الارض فاعلو

قلت فاعلو ماذا فقال فاعلو لما عال من صبره فصار نحو القوم ينعوا

قلت ينعو ماذا فقال ينعوا رحالا للفتى شرعت كيف مالاقوا ومايلقو

(قال) فلما انهلا شيء بعد الفناء ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت ويلقو ماذا
فقال

ان كنت ما تفهم ما قلته فانت عندي رجل بو

فقلت له البو ماذا فقال البو سلخ قد حشي جلده بالف قرنان تقول او
فقلت اوماذا فقال اوضرب الراس بصوانة تقول في ضربتها قو
خفت ان اقول قوماذا فضربني ويكمل البيت فقلت له انت ضيفي الليلة فقال لا يابى
الكرامة الا لئيم فقلت لزوجتي اصنعي لي دجاجة فاتت بها وجئته اناو زوجتي
وابنتاي وقلت فرق يابدوى فقال الراس للراس واعطاني الراس وقال الولدان جناحان
والبنتان لهما الرجلان والمراة لها العجز وانا رائي الزور واكل الدجاجة ونحن ننظر
اليه وبتنا نتحدث فلما اصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لي خمس دجاجات ففعلت واتيته
بالدجاج وقلت اقسم يابدوى فقال تريد شفعا او وترا فقلت ان الله وتر يحب اوتر فقال
كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت وزوجتك دجاجة وابناك دجاجة وابنتاك
دجاجة واناد جاجتان فقلت لا ارضى بهذه القسمة فقال كانك تريد شفعا قلت نعم
فقال انت وولداك دجاجة وزوجتك وابنتاها دجاجة وانا ثلاث دجاجات والله
لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة في الشعر ومرة في الدجاج
ثم انصرف انتهى

(خلافة امير المؤمنين الواثق بالله)

قال ابنه محمد الذي يقال له المهتدي بالله كان ابي الواثق بالله اذا اراد ان يقتل
رجلا احضرنا في ذلك المجلس فبينما نحن عنده اذ اتى بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابي
عبد الله يعني ابن ابي داود واصحابه وادخل الشيخ مقيدا فقال السلام عليك يا امير
المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئسما ادبك المؤدب قال الله
تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وانت والله ما حييتني بها ولا
باحسن منها فقال ابن أبي داود يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال
للشيخ ما تقول في القرآن فقال الشيخ لم تسألني الى السؤال اسأله فقال الامير له فقال
الشيخ لابي داود ما تقول في القرآن فقال مخلوق فقال الشيخ هذا شيء علمه النبي
وابو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون ام شيء لا يعلمونه فقال لا يعلمونه
فقال لا يعلمونه فقال سبحان الله شيء لا يعلمه النبي ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان
ولا علي ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلني اه

خلافة المتوكل على الله تعالى

(حكى) عن ابي القاسم علي بن محمد الذهبي عن ابي عبد الله الجوى قال لما حج
محمد بن عبد الله بن طاهر رأي في الطواف جارية في نهاية الحسن فسأل عنها فقيل
ايها الرجل من الادباء قد رواها الاشعار والاخبار والنحو والعروض وقد احسنت
ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قدم بها مدينة دار السلام
شغف بها شغفا شديدا وخفي امرها وما يجده منها تخوفا من امير المؤمنين المتوكل وكان
من شدة وجده بها يحبس عندها اياما لا يظهر للناس فيظنون انه مزمن وامره معها
مستور فمطن بعسويد بن ابي العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد
سوى ما يكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا
نسخته بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد يا امير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشتري جارية
بمائة الف درهم فهو يصطبح معها ويتغدى زمانه كله معها وقد اشتغل بها عن النظر في
أمور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين ولا يأمن امير المؤمنين ان تخرب له
بغداد مع كثرة ما فيها من الفراغ فيتعب امير المؤمنين في اصلاحها وقد انسى المملوك
ذلك الى امير المؤمنين ايده الله وهو أعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته قال فلما قرأ
المتوكل الكتاب رفع رأسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الي محمد بن عبد الله
ابن طاهر وادخل عليه بغتة من غير اذن وانظر الي ما يفعل ثم خذ منه جاريته فلانة
وائت بها من غير تأخير فمضي نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها في ذلك اليوم
فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو واقف عليه فتغير وجهه
وانقطع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن
الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذي اقدمك قال امير المؤمنين امرني ان
آخذ جاريتك هذه قل يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد رى ما نحن
فيه وانا لا خالف ما امر به امير المؤمنين ثم امر الخادم بكرسي فجلس عليه ان امتنع ساعة
وقال ان مثلي لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا نظر الى الجارية وبكي بكاء شديدا وقال
لها غني لا تزودمنك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

لله من المعذبين رماهما بشاتة العزال والحساد

اما الرحيل فحين جد تحملت موج النفوس به من الاجساد
من لم يبت والبين يصدع شمله لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعلما بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما ثم عاين ما حل بهما فقال ايها الاميران اردت ان امضي واد عكما على ما انتما عليه وانعلل عنكما بالاميرا ؤمنين فعلت فقال يانرجس من خلقت مثل ابى سويد كيف يمكنه العلل ولكن اشفق بنا فقالت الجارية والله ياسيدى لاملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن نفسي فقال لها محمد لوكان غير اميرالمؤمنين لكان فى ذلك واسع حيله ولقد وردت ان ياخذ مني امير المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملي و يبقيك على ولكن هذا قضاء لله وقدره ثم التفت الي نرجس وقال لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ما امد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك ان صنائع المعروف تقى مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي نخذها وامض بها الى أمير المؤمنين وقل ماشئت مما يليق بمروءتك ثم التفت اليها وقبلها و بكي وبكت و بكى نرجس ثم اخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ماوراءك يانرجس قال ورائي ياامير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالها ولم تخف شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية فقال ياامير المؤمنين والذى خفى اكثر مما ظهر وما ظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب المتوكل وقال يانرجس ارجع بها الساعة اليه من وقتك هذا وادركه ان تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها معه مثله وجعلت امر ابى سويد اليه يصنع به ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب فرد جاريتك عليك من غير ان يوقع نظره عليها وقد حكمك فى ابى سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب اليها وعانقها وقبلها ساعة وخرج فجلس على باب داره وبعث الي ابى سويد فلما حضر دفع التوقيع فلما قرأه قال اعوذ برضاك من سخطك و بعفوك من عقوبتك وان تهدم مني ركنا انت شيدته انت صنيعة اصطنعتها الى مثلي فمثلي من هفا ومثلك من عفا ثم قام فقبل البساط فقال له محمد لا ابدل نعمة الله كفرا ثم امر له بخمسين الف درهم فقالت الجارية وانا ايضا اهب

له خمسين الف درهم مما وهبه لى امير المؤمنين شكر الله تعالى على ذلك ثم اقره على ما كان عليه وامران يحمل المال بين يديه الي منزله ورجع محمد والجارية الى ما كان عليه فى اطيب عيش واحسن حال مظاهرين بذلك غير مستترين

(خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله احمد)

كان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بني العباس بعد ان اخلقته الاتراك واذلته وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

كذا يابنى العباس انشىء ملككم كذا يابنى العباس ايضا يجدد

(ولقد اتفق) فى ايامه على ماحكى امر فظيع كشفه الله له بهيبته فى نفوس الناس فانه كان لا يتجرأ احد منهم ان يكتم مافى نفسه مخافة صوله لانه كان لشدة حذقه يتخيل لهم انه يعلم مافى نفس لانسان من الضمير فاتفق ان أخذ وزرائه وا كبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه احد فيه من جيرانه لكانته من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا في ذلك البناء فرأى يوما من الايام فى داره من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فسأل عنها فاخبرانها بنت احد التجار فارسل الى والدها خاطبا فقال ابوها وكان ابوها من أهل اليسار ليس ازوجها الا من تأجر مثلى فانه ان يزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وانت ان ظلمتها لم اقدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل يرومه فى ذلك بكل امر وتوسط اليه بالاكابر ولا مائل من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه ان يجيبه شكا الى احد خواصه فقال له الف مثقال يقوم لك هذا فكيف ذلك والله لو علمت انى انفق عليها مثقال او اكثر وتأتينى بها لفعلت قال له عليك ان تحضر لى الف دينار فامر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الي عشرة رجال كانوا عدولا عند القاضي فى شهادتهم وذكرلهم الامر وقال هذا العزيز عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الفا واعلى لهم المهر وانكم تحيون نفسا اشرفت على الهلاك و يكون لكم عنده مع هذا ان الجاه ما ترغبون وابوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى جلالة قدره و مكانة امره وقد اعطاه صداقا لا يعطي الا لبنت الملك ثم هو مع هذا ابى هل هذا الا عضل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون

انه قد زوجها منه فانه اذا علم ابوها بانكم قد شهدتم عليه رجع الي هذا اذ ليس
الا الخبر او الخبر فاخذ الشهود كل واحد منهم على انفراده وشهدوا ان اباها زوجها على صداق
مبلغه كذا ورفعوه في الصداق الي غاية ما ترفع اليه صدقات الملوك فلما علم ابوها بذلك
ازداد نفارا فمشى لوزير وذلك القائد الى القاضي وقال اني تزوجت بملاءة بنت فلان
على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم قد نكرني وانكر الشهود وقد اردت ان ادفع
له حق ابنته وآخذها بامر القاضي باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر مال النقد بين
يدي القاضي والرجل على انكاره تماديا فامر القاضي باحضار الحكم عليه وان تؤخذ
ابنته منه احب اذ لره وامر بحمل المال فلما وصلت الجارية عند لوزير لم يزل ابوها يروم
الوصول الي المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصة
فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان
تكون في جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله
ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان الوقت الذي كانت عادة امير المؤمنين
المعتصم يشف فيه على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض وجعل يحث
التراب على رأسه ويستغيث فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فأرسل المعتصم في ذلك
المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه في القول فحملته هيبته وقلة اقدامه على الكذب
عليه ان اصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان يعذره في ذلك اذ قد جعل
لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وامر باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع
صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم
من هذه الذلة اذ قد ارادوا احياء نفس ذلك الوزير وايضا قد دفع له بين يدي القاضي
نقدا لا يكون الا في صدقات الملوك وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة مدرا
فكانه قد اخذ بحقها او اكثر من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر ان يصلب كل
شاهد منهم على باب داره وان يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طري السلخ ويضرب
بالمزارق حتي يختلط عظمه ولحمه بدمه ثم امر بما صنع به ذلك ان يفرغ بين يدي ثمور
كانت عنده فلما لعقت تلك الثمور ذلك الدم امر الرجل ايا البنت ان يا خذ بنته ويأخذ
كل ما ذكروا لها على ذلك الوزير في صداقها من عقار ودور ومال ثم مات المعتصم وولي

ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فمادت الاتراك الي ما كانت عليه من ذلك والله اعلم
(ويحكى) ان بعض الملوك ارسل رجلا من بطانته الي بعض الجهات ليعرف خبر اهلها
ويطالعه باخبار الرعية فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف
ثم قال ما جئت له وانا راغب اليك بكتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه اني حسن
السيرة وسالك طريق العدل فان انت فعلت ذلك فلك مني ما تشتهي اليه من الخير
والعطاء وان ابيت ذلك امرت الشرطيين ان ينهبوا الى من أمرك في الملا ما يوجب قتلك
اما حدا واما سياسة فاقتلك بمحضر من قاضي البلد ووجوه الناس فذهب كامس الماضي
فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليخونه مرسله كتب بحضرته كتابا
الملك اما بعد اعز الله الملك واكرمه فاني قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت
العامل فلانا آخذا الجرم عاملا بالعزم قد ساوي بين رعيته وعدل بينهم في اقضيته
واتضى بعضهم بعضا رجل طاعته عليهم فرضا وانزلهم منه منزلة الاولاد واذهب
ما بينهم من الاحقاد وأراحهم من السعي في الدنيا وفرغهم للعمل في الاخرى اغنى
القاصد وأرضي الوارد فجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر الى الكريم
وجهه والسلام (فلما) وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلانا لم
يكن عندي بهتهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لي رجلا يصلح لعمله فاني
قد عزلته فقال الوزير اصلح الله الملك وكيف ذلك لان قوله اخذا بالحزم عاملا بالعزم
أي انه خائف مني لما اعتمده في الولاية واما قوله ساوي بين رعيته وعدل بينهم في
قضيته شماء انه لم يخص احدا بظلامة بل الجميع سواء وقوله وارضي بعضهم بعضا
اي ذهبت احقادهم لان الشدائد تذهب الاحقاد وقوله انزلهم منزلة الاولاد معناه
اخذ اموالهم فراى انها له اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله
واراحهم من السعي في الدنيا معناه انه اخذ اموالهم ولم يترك ما يسعون به ولا ما به
يتجرون وقوله فرغهم للعمل في الاخرى معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم
وقوله اغنى القاصد وارضي الوارد فانه يعني نفسه اي انه اعطاه مالا ليكتب الى بذلك
واما قوله فجميع اهل عمله داعون لنا معناه ان يبصرنا الله بأمرهم ونطلع على ما فيه
وقوله يودون النظر لوجهنا اي يشكون الينا ما قوله منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك

طلب العامل واحضره الي بابه وانصف الناس منه ورد عليه ما كان ظلمهم فيه واقتص منه وقابله على فعله

(ومن الطائف) ماحكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان ابو عثمان المازني جالسا اليه اليهودي وسأله ان يقرئه كتاب سيبويه ويذل له مائة دينار فامتنع ابو عثمان من ذلك فقلت سبحان الله تردمائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا ابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ولم ارد ان امكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد فما مضت الايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر علم ندماءه فغنت جارية في المجلس هذا الشعر

اظلوم ان مصابكم رجلا اهدي السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه خبر ان فقالت الجارية ما حفظته من معلمي الا هكذا ثم وقع النزاع بين الجماعة فمن قائل الصواب معه ومن قائل الصواب معها فقال الواثق من بالعراق من اهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصره ابو عثمان المازني وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا بالبصرة يسيره الينا معظما مبجلا فما كان الا ايام حتى وصل الكتاب الى البصرة فأمر الوالي اباعثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد في اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز في رجل غير النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجلا منصوب به والمعنى ان اصابتكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم فظلم خبران ولا يتم الكلام الا به ففهم الواثق كلام ابي عثمان وعلم ان الحق ماقلته واعجب به وانقطع الرجل الذي انكر على الجارية ثم امر الواثق لابي عثمان المازني بألف دينار وانحفه بتحف وهدايا كثيرة لاهله ووهبت له جارية اخرى ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاء المبرد فقال له ابو عثمان كيف رايت يا ابا العباس تركت لله مائة فعوضني الفا فقال المبرد من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله الاسم الاعظم فجاءني جبريل به مختوما وهو اللهم اني اسالك بالاسم المخزون المكنون الطاهر المطهر

المقدس المبارك الحي القيوم قلت عائشة بأبي وامي علمنيه فقال يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء اه (فائدة) كان ابو عبد الله بن يحيى الصنيعي من اصحاب الشافعي وكان اماما صالحا عالما من اهل اليمن من اقران صاحب اليمن من تصنيفه احترازت المهذب والتعريف في الفقه روى ان اناسا ضربوا بالسيف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت اقرا (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وحفظناها من كل شيطان رجيم وحفظنا من كل شيطان مارد ذلك تقدير العزيز العليم ان كل نفس لما عليها حافظ ان بطش بك لشديد) الى آخر السورة وينبغي ان يزاد فيها (ان ربي على كل شيء حفيظ) ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرايت ذئبا يلاعب شاة عجفا ولا يضرها بشيء فلما دنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا في عنق الشاة كتابا مربوط فيه هذه الآيات المتقدمة اه (فائدة) قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءي الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما انتم ثم انفتل الينا فقال اما اني سا حدثكم ما حبسني عنكم الغداة الا اني قمت من الليل فتوضأت وصليت ماقدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فاذا انا بربي تعالى في احسن صورة فقال يا محمد فقلت لبيك يارب قال فيم يختصم الملا الاعلى قلت ربي لا ادري قال تعالى في الكفارات والدرجات وفي رواية قلت في الكفارات والدرجات قال عمماهن قلت مشي على الاقدام والجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء على المكروهات ثم قال فيم قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قلت الله اني سالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني ان اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني الى حبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها

ثم تعلموها (قال) ابوعيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من حياة الحيوان
فى حرف النون وقال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو اخفى
فيكم من دبيب النمل وسادلك على شئ اذا فعلته اذهب الله عنك صغار الشرك
وكباره تقول اللهم انى اعوذ بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم انك انت
علام الغيوب تقولها ثلاث مرات اه (فائدة) اذا علقت عين الهدهد على
صاحب النسيان ذكر ما نسيه ودمه اذا قطر فى البياض العارض فى العين اذهبه
(وروي) احمد والبزار ورجال احمد ثقات من حديث ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى رجلا يشرب قائما فقال له ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا
قال فقد شرب معك الشيطان (وروى) "طبرانى باسناد صحيح عن انس ان النبى
صلى الله عليه وسلم مر بأعرابى وهو يدعو فى صلاته يقول يامن لا تراه العيون ولا
تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل
الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم
عليه الليل واشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض ارضا ولا بحر الا
وعليه قعوده ولا فى جبل الا ويعلم ما فى وعره اجعل اللهم خير عمرى آخره وخير عملى
خواتيمه وخير أيامى أيام لقائك فوكل النبى صلى الله عليه وسلم بالاعرابى رجلا فقال
اذا صلى فاتنى به فلما صلى اتاه وقد كان اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم ذهب من
معض المعادن فلما اتى الاعرابى اوهب له الذهب وقال ممن انت ايها الاعرابى قال
من بنى عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدرى لم وهبت لك هذا الذهب
قال للرحم التى بيننا وبينك يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن
وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل (كناية فى القطا) يقال نزل عمر بن
امامة على قوم من مراد فطرقهم ليلا فأثاروا القطا من اماكنها فرأتها امرأة يقال
لها حذام فلما رأت القطا طارت ليلا فأثاروا القطا ليلا نبهت زوجها مع رجال من
قومها فقالت لهم *ولو ترك القطا ليلا لناما*

فلم يلتفتوا الى قولها وأخلدوا الى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ماقالت حذام

فنفر القوم والتجؤا الى وادقريب منهم واعتصموا به حتى اصبحوا وامتنعوا من
عدوهم فضرب به المثل (وذكر بعض اهل التواريخ) ان ملكا من الملوك خرج يدود
فى ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فأخذه العطش فوقف بباب دار
من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فنظر لها
وافتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المراة عارفة به فعلمت انها لا تقدر على الامتناع
منه فدخلت واخرجت له كتابا وقالت له انظر فى هذا الكتاب حتى اصلح من
امرى ما تحب واعود فاخذ الملك الكتاب ونظر فيه واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعد
الله تعالى لفاعله من العذاب الاليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمراة واعطاها
الكتاب ومر ذاهبا وكان زوج المراة غائبا فلما حضر اخبرته الخبر فتحير فى نفسه
وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على
ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدي
الملك قال أقارب المرأة أعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استأجر منا أرضا
للزراعة فزرعها عدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها
وقد حصل الضرر الارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم
يزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا
الملك انه قد بلغنى ان الاسد قد دخل ارضى وقد هبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمى انه
لا طاقة لى بالاسد فعلم الملك القصة فقال ياهذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة
فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم امره وزوجته بصلة حسنة
وصرفه (وقال) الكسائى دخلت على الوليد ذات يوم وهو فى ايوانه وبين يديه مال
كثير قد أمر بفرقته على خدمه الخاصة وبيده درهم نلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيرا
ما يحدثنى فقال هل علمت اول من سن هذه الكتابة فى الذهب والفضة قلت هو
ياسيدى عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب فى ذلك قلت لا اعلم غير انه هو اول
من احدث هذه الكتابة قال سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان اكثر من بمصر
نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها ابا وابنا وزوجة
وبنتا فلم كذلك صدر الاسلام كله يمضي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه

له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازة فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك فانكره وقال ما اغلظ هذا في دين الاسلام ان يكون طراز القراطيس هكذا وهي تعمل في الاوانى والثياب ومما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز به من سطور وغيرها من عمل هذا البلد فامر بالكتاب الى عبد العزيز ابن مروان وكان عامله بمصر بابطال ذلك الطراز الذى يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك ولن تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وهو شهادة انه لا اله الا هو هذا طراز القراطيس الي هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الافاق جميعا بابطال ما في اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شيء منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما اثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الي بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الي ملكهم فترجم له ذلك الطراز فانكره وعظم عليه وانفاظ غيظا فكتب الى عبد الملك انى اعمل القراطيس بمصر وسائرا يطرز هناك الروم ولم تزل تطرز بطراز الروم الان ابطلته فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت وان كنت قد اصبت فقد اخطئوا فاختر من هاتين الخلتين ايهما شئت واحببت وقد بعثت اليك بهدية تليق بمحلك واحببت ان ترد طراز تلك القراطيس الى ما كان عليه وجميع ما كان يطرز اولا لاشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرا عبد الملك كتابه رد الرسول واعلمه انه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها الي صاحبه فاما وافاه اضعف الهدية . رد الرسول الى عبد الملك وقال انى ظننت انك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم يجبنى الى كتابى فاضعفت الهدية وانا ارغب اليك مثل ما رغبت فيه اولا من رد الطراز الي ما كان عليه ففرا عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضي مجاوبة كتابه ويقول انك قد استخففت بجوابى وهديتى ولم تسمعنى بحاجتى فتوهمت انك استقللت الهدية فاضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد اضعفتها لك ثالثا وانا احلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الي ما كان عليه اولا مرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم انه لا ينقش شيء منها الا ما ينقش في بلادى ولما رد الدراهم والدنانير نقشت

في بلاد الاسلام فينقش عليها اشتم نبيك فاذا قرابه ارفض جبيك عرقا فاحب ان تقبل هديتي وترد الطراز الي ما كان عليه أول الأمر وكانت هدية برزتي ويبقى الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الارض قال احسبني اشام مولود ولد في الاسلام لانى جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكلام ما يبقى الي ابد الدهور ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع اهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع اترك لعلم المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك بم قل عليك بالباقر من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم قال صدقت ويمكنه يا روح الراي فيه قال نعم فكتب والي عامله بالمدينة ان ارسل محمد بن على بن الحسين مكرما ومتعه بمائة الف درهم لجهازه ثلثمائة درهم لنفقته واروح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من اصحابه وحبس لرسول قبله الى مواقاة محمد بن على فلما وافاه أخبره الخبر فقال محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشيء من جهتين احداهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية تدعوا في هذا الوقت بصنائع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احداهما في وجه الدراهم والدينار والاخرى في الوجه الثانى وتجعل في مدار الدراهم او الدينار ذكر البلد الذى يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعدالى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة اصناف العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون اوزانها جميعا احدى وعشرين مثقالا فيجزؤها من الثلاثين فتصير العدد من الجمع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجاة من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدينار على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسراوية في الاسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) اى كل هنيئا وكان وزن الدراهم منها قبل الاسلام

مثقالا والدراهم التي كان وزن الشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل
هي السامرية الخفاف والمثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وأمره محمد
ابن علي بن الحسين رضي الله عنه ان يكتب السكة في جميع بلدان الاسلام وأن
الناس يتعاملون بها وان يهدد بقتل من يغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها
وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى عاد الي السكة الاسلامية ففعل عبد الملك
ذلك وورد رسول ملك الروم اليه بذلك و يقول ان الله عز وجل ما نعك مما قد اردت ان
تفعله وقد قدمت الي عملي في اقطار البلاد كذا وكذا وبابطال السكك والطراز
الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال اردت ان اعطيه
بما كنيت اليه لاني كنت قادرا عليه فالمال وغيره برسوم الرسوم فاما الآن فلا افعل
لان ذلك لا تعامل به أهل الاسلام وامتنع من الذي قال وثبت ما اشار به محمد بن علي
ابن الحسين رضي الله عنهم الي اليوم ثم رمى بمنى الوليد بالدراهم الى بعض الخدم
نتهى من حياة الحيوان (ومما جاء في الزكاء والفهم) ما حكي عن المامون انه غضب
على عبد الله بن طاهر وشاور اصحابه في الايقاع به وكان قد حضره في ذلك المجلس
صديق له فكتب اليه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا موسي فلما قضه ووجد ذلك
تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت
له سيدي انى افهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه أراد قوله تعالى يا موسي ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الي المامون مثني العزم عن ذلك واعتذر
للمأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته (واحسن) من ذلك ما ذكر ابن خلكان
قال ان بعض الملوك غضب على بعض فأمره وزيره ان يكتب له كتابا يشخصه به وكان
للوزير العامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب في آخره ان شاء الله تعالي وجعل في
صدر النون شدة فعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير اذ من عادة
الكتاب انلا يشكلوا كتبهم ففكر في ذلك فظهر له انه أراد أن الملك يأتمرون بك
ليقتلك فكشط الشدة وجعل مكانها الفا وختم الكتاب واعاده فلما وقف عليه الوزير
سر بذلك وفهم انه اراد انا لن ندخلها ابدا ما دام فيها وفي تاريخ بغداد ووفيات
الاعيان ان أبا حنيفة كان له جار اسكافي يعمل نهاره فاذا رجع الي منزله ليلا نشي ثم

شرب فاذا دب الشراب فيه غنى اضاعوني واى فتي اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وابو حنيفة يسمع صوته كل
ليلة وكان ابو حنيفة يصلي الليل كله فقد ابو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل اخذه
العسس منذ ليال فصلى ابو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته واتى الي دار الامير
فاستأذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا له راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل
به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ما حاجتك قال اشفع في جاري فقال الامير
اطلقوه وكل من أخذ تلك الليلة فحلوهم ايضا وذهبوا وركب ابو حنيفة بغلته
وخرج والاسكافي يمشي وراءه فقال له ابو حنيفة هل اضعناك فقال بل حفظت ورعيت
فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعدل الى ما كان يفعل (وقال)
الشافعي قلت لمالك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رجل لو كلمك في هذه السارية أن
يجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله
الرحمن الرحيم لا اله الا هو الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب
العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم
الفاسقون (فائدة اخري للصداع) ذكر في حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما
حصل عمورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال اهل عمورية للمسلمين
ما لاميركم لم يركب فقالوا اعرض له صداع فاخرجوا النابرنسا وقالوا البسوه له يزل عنه
ما يجد فلما لبسه فشي فقتشوا فيه فلم يجدوا فيه غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات
(بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم يريد
الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله
عنكم وعلم ان فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بسم الله الرحمن الرحيم
حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله
ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم)
فقال المسلمون من اين لكم هذا انما انزل هذا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
وجدنا هذا محفوظا في حجر في كنيسة اقبل ان يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهي (وعن)

ابى الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فابلغت رجله يده
حتى مات فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الداعي على هذا الكلب
فقال رجل من القوم انا يارسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم انى اسألك بان لك الحمد
لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام اكفنا
هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله بالاسم الاعظم
الذى اذا دعا به اجاب واذا سئل به اعطى وهذا الحديث فى السنن الاربعة ومسند
احمد وكتابى الحاكم وابن حبان قيل وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وان الرجل
الداعى سعد بن ابى وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه ايضاً) تكتب هؤلاء
الكلمات وتجعل فى انبوبة وتدفن فى الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد بان الله
تعالى وهى بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم
اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم على معايشنا وارزقنا انك
سميع الدعاء (انى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي
على صراط مستقيم) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واستجب منا يا ارحم
الراحمين وهو عجيب مجرب (فائدة) قال القرافى اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته
مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود والا لكان
كل من امر بالسجود وامتنع منه كافرا وليس كفره بكونه حسد آدم عليه الصلاة
والسلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا بكونه حسد آدم بعصيانه
وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك على جماعة من الفقهاء
ينبغى انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصريف الذى ليس بمرضي
ويظهر ذلك من قوى قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده ان
الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله
تعالى وقد اجمع المسلمون على من نسب الله تعالى اذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان
ومنه قول الشاعر

خليلى ان قالت بثينة ماله ... اتانا الى وعد فقولا لحالها
اتى وهو مشغول بعظم الذى به ... ومن بات طول الليل يرعى السهاسها

بثينة تزري لغزالة فى الضحي ... اذا برزت لم يبق يوما بهاءها
لها مقلة كحلا وخد مورد ... كان اباها الظبي او امها ما
دهتنى بود قاتل وهو ملتقي ... وكم قتلت بالمزج من ود هادما

هى من مزج النفنف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء ودود يكون فى انف الابل
الغنم الواحدة نفنفة انتهى عن الاصمعي (وقال) عبيدة هو الدود الابيض
يكون فى النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنفنف (وروي) مسلم عن النواس بن
سمعان فى حديثه الذى رواه الدجال ويبعث الله يأجوج وماجوج فيرسل عليهم
النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله فرسى قتلى وقيل
للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

(حكاية الهامة)

(روي) أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند
عمر بن الخطاب فقال كعب الاحبار يا امير المؤمنين الا اخبرك باغرب شيء رايته فى
كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت السلام عليك يا
نبي الله فقال وعليك السلام يا هامة اخبرني كيف لا تاكلي الزرع قالت يا نبي الله ان آدم
اخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن اجل
ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت معمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب
ميراث الله تعالي فانا اسكن ميراث الله قال الله تعالى (وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث
الله كلها قال سليمان فما قولك اذا جلست فوقى خربة قالت أقول اين الذين كانوا
يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور واذا مررت عليها قالت اقول وا لهى
آدم كيف ينامون وأما هم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار
قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فاخبرني ما تقولين فى صياحك قالت اقول
تزودوا يا غافلون وتهيؤا السفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس فى الطيور طيراً
انصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة وما فى قلوب الجهال ابغض منها والهامة
بتخفيف الميم على المشهور طير الماء (وفى كتاب فردوس الحكم) قال آية من كتاب الله

تعالى من قرأها يؤمن من الهوان (اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) (فائدة) اليحمور حمار الوحش وفي كتاب العرائس لابي الفرج الجوزي ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرفقه شخص في الطريق فلما كان قريباً من المدينة قفى قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لي عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا اتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك ابيض فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك قال فقلت له يا اخي وانا ايضا اسألك حاجة قال وما هي قلت فاذا كان الانسان ماردا تعمل فيه العزائم ولحم الادمي ما دواؤه منا قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهام المصاب من يده شداً وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السذاب البري يقطر في انفه الايمن اربعا وفي الايسر ثلاثا فان الماسك به يموت ولا يعود الي احد بعده قال فلما دخلت المدينة أتيت الي ذلك المكان فوجدت الديك عند العجوز فسألتها بيعه فأبت فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته مثل لي من موة وقال لي بالاشارة اذبحه فذبحته فخرج لي عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربوني يقولون يا ساحر فعلت لست بساحر فقالوا انا منذ نحت الديك اصيبت شابة منذ نا بجني انه منذ سكنها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا من دهن السذاب البري فاتوا بهما فشددت أبهامي المصابة شدا وثيقا فلما بها صاح وأنا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في انفها الايمن اربعا وفي الايسر ثلاثا فخرج من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده شيطان (وقال اسحق) غدوت يوما وانا منحصر من ملازمتي امير المؤمنين فعرضت نفسي على ان أطوف في الصحراء واتفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول الخليفة او غيره فلا تعرفوه مكاني فطفت وعدت وقد حمي النهار فوقعت في فضاء استريح فلم البث أن جاء خادم يقود فارا فارهاً وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ورأيت قواما حسنا وطرفا فاتقا بحدثت نفسي فانها مغنية ثم دخلت الدار الي وانا واقف عليها ثم لم البث ان جاء شابان جميلان واستأذنا فاذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعاني واظن صاحب البيت انني معهما وجلسنا فاتي الطعام فاكلنا وبالشراب فوضع ودخلت

الجارية ورفي يدها عود فغنت وشربنا فسألها صاحب المنزل عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقالوا هذا طفيلي لكنه ظريف فاجملوا عشرتي فشربنا ودار الكاس فغنت الجارية تقول

ذكرتك اذ مرت بك ام شاذن ... أمام المطايا وهي بالشراب تسبح
من المولغات الرمل قد ابدى ثغرها ... شعاع الضحي من وجهها يتوضح

فادته اداء حسنا ثم غنت صوتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد لاهيا وناي عني جانيا ... قد بلغت الذي اردت وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصححه عليها فاقبل علي احد الرجلين يعنفني ويقول ما رأينا طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلي ويقترح فاطرقت وجعل صاحبه يكلمه وهو لا يلتفت ثم قاموا الي الصلاة وتاخرت بعدهم قليلا واخذت عود الجارية وشددت طبقته واصلحته اصلاحا حسنا محكما وعدت الي موضعي وعادوا وأخذ ذلك الرجل عرفي بدته علي وانا صامت واخذت الجارية العود جسته فاذكرت حاله وقالت من جس عودي قالوا ما جسه أحد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها انا قلت بالله خذوا اضرب فاخذته وضربت ضربا عجيبا فيه نقرات محكمة فما بقي منهم احد الا وثب وجلس بين يدي وقال صاحب المجلس أقسم بالله ان لك في الصناعة اصوا تا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت انا اسحق الموصلي والله اني لاتيه على الخليفة اذا طلبت وانتم ترون صاحبكم هذا يسمني ما اكره لكوني ناديته معكم ودخلت عندكم ووالله لا نطقت بخوف ولا جاست حتى يخرجوا هذا الملعون فقال له صاحبه من مثل هذا خفت عليه واخذوا بيده وسحبوه واخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فقال لي الرجل هل لك في خصلة قلت ما هي قل تقوم عندنا اسبوعا والمكافاة الجارية والهازك قلت نعم افعل وأقمت عنده اسبوعا لا يعرف احدا ين انا والمأمون يطلبني في كل حين وكل موسم ولم يقع احد على خبري فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الي المأمون فلما رآني قال يا ابا

اسحق ويحك اين كنت فاخبرته الخبر فقال على بالرجل الساعة قد التهم على موضعه فاحضره وساله المامون فاخبره بالقصة فقال انت ذو مروءة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف وقال له لا تعاشر ذلك الندل المعربد انتهي (ومن كلام الاحوص في حضرة يزيد) غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ويوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادري قال ابعثوا الى الزهري وكان قد ذهب من الليل شطره فاتي به فلما صعد اليه قال لا باس عليك لن ندعوك الخبر فجلس وساله عن قائل هذا الشعر فقال الاحوص قل ما فعل به قد اطال حبه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه واحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهي (وحكي) مسرور الخادم ان الرشيد قصد الركوب في غير عادته فقلت له اين تريد يا امير المؤمنين في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلي قال فمضى حتى انتهى الي منزل ابراهيم الموصلي فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال يا أمير المؤمنين في مثل هذه الساعة قال نعم شوق طرق بي اليك ثم نزل وجلس في مجلس الايوان وجلس ابراهيم فقال له ابراهيم ياسيدي استنبط شيئا تأكله قبل التراب قال نعم فجاء بمطعوم كان معدا له فاصاب منه يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلي ياسيدي اغنيك ثم تغنيك ماؤك قال بل الجواري فخرجت جواري ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانبيه فقال ابراهيم ايضربن كلهن ام واحدة واحدة فقال بل يضربن اثنتان اثنتان وواحدة واحدة ثنى قال فضربت اثنتان وغنت واحدة منهن فقالت

اذا دعى باسمها داع يحدثني ... كادت لها مهجتي من حرها تقع
لو ان لي صبرها او عندها جزعي ... لكنت اعقل ما آتي وما ادع
لا احمل اللوم فيها والغرام بها ... ما كلف الله نفسا غير ما تسع

اخرى فقالت

طرقتك زائرة فحي خيالها ... بيضاء تخلط بالجمال دلالها
هل يطمسون من السماء نجومها ... باكفهم او يطمسون هلالها

شهدت من الاقبال آخر آية ... فاردتموا بمحالكم ابطالها

ثم غنت احري فقالت

شطت سعاد واضحى البين قد اري ... واورثتك سقاما تصدع الكبدا
فما احتيالك اذ جد الرحيل بهم ... وخلوفوك غداة البين منفردا
لا استطيع لهم صبرا ولا جلدا ... ولا تزال احاديثي بهم جددا

(قال) فقام حتى وصل صدر الايوان واخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت لشيء من غنائهن الي ان غنته صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة هذين البيتين لابي نواس

يا موري الزند قد اعيت قوادحه ... اقبس بما شئت من قلبي بمقياس
ما اقبح الياس في عيني واسجمهم ... اذا نظرت فلم انظرك في الياس

فطرب الرشيد لغنائها واستاذن الصوت مرارا وشرب ارطالا وسال الجارية عن صنائمه فامسكت فاستأذنها فتقاعست فامر بها فاقبلت بين يديه فاخبرته بشيء امرته اليه فدعا بجام فركبه ثم التفت الى ابراهيم الموصلي وقال له حاضرك ان تكون خليفة فكانت روحه تخرج حتى دعاها بعد ذلك وادناه قال وكان الذي اخبرته سرا ان الصنعة الصوت لاخته عليه بنت المهدي وكانت الجارية لها فوجهتها الى ابراهيم الموصلي بنازحها

(ومن قول ابي نواس)

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات خرق في زي ذكر ... لها محيان لواط وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر ... فلاح من وجهها في البيت لالاء
فارسلت من فمها الابريق صافية ... كانما اخذها للعقل اخفاء
رقت على الماء حتى لا يلائمها ... لطافة وخفي من شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها ... حتى تولد انوار واضواء
دارت على فتية دل الزمان لهم ... فما يصيبهموا الا بما شاؤوا

فقل لمن يدعي في العلم توسعة حفظت شيئا وغابت عنك اشياء

(وقال الشاعر)

عصفورة في يد طفل يهينها تذوق مرار الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

وروي البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فارفد عصفور الى الفخ وقال مالك متعيبا في التراب فقال التواضع فقال لم انحنيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحية التي في فيك قال اعددتها للصائمين فلما تناول الحية امسك الفخ عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقك فلا خير في هذه العبادة اليوم انتهى (وقال) الشافعي رضي الله عنه اربعة اشياء تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفيل واكل الفستق واكل الجرجير واربعة اشياء تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين

(الامام احمد ومناقبه رضي الله تعالى عنه)

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحزر من حضر في جنازته فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته رضي الله عنه عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى (وقال) الامام النووي في تهذيب الاسماء واللغات من النعوت وكل امرأن يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على الامام أحمد فبلغ مقام الف الف وخمسمائة وقد حزن عليه رضي الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة ابلغني موت الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه اغتممت غما شديداً فرايته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت يا ابا عبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وتوجني والبسني نعلين من الذهب وقال يا احمد هذا بقولك القرآن كلامي غير مخلوق ثم قال الله تعالى يا احمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن ابي سفيان

التي كنت تدعوبهن في دار الدنيا فقلت يارب اسالك بقدرتك على كل شيء ان لا تسالني عن شيء واغفر لي كل شيء فقال جل وعلا يا احمد هذه الجنة فادخلها

(وانشد) بعضهم تاريخ موت الائمة الاربعة ومولدهم الامام ابي حنيفة والامام مالك والامام الشافعي والامام احمد بن حنبل

تاريخ نعمان يمكن سيف سطا ومالك في قطع جوف ضبطا

والشافعي صين بيرند واحمد بسبق امر جمد

فخذ على ترتيب نظم الشعر ميلادهم فموتهم فالعمر

وكذا في تاريخ الائمة الخمسة المحدثين الامام الترمذي وابو داود والامام مسلم والنسائي والامام البخاري (وقد جمع بعضهم مالك في بيت واحد)

اذا رمت الحديث فلذ بخمس تكن مثل المسافة في الحياة

تعطر درعه مارص نسج بنور للمحدث للوفاة

بيان لذلك ان التاء اشارة للترمذي والدال اشارة لابي داود والميم اشارة للامام مسلم والنون للنسائي والباء للبخاري والله اعلم (ويحكى) انه اتى برجل مدني سكران الى بعض الولاة فامر باقامة الحد عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصير لم يتمكن من ضربه فقال الجلاد للمدني تقاصر لينالك الضرب فقال ويلك الى اكل الفالوذج تدعوني والله لوددت ان اكون اطول من عوج بن عنق وانت اقصر من ياجوج وماجوج فاستظرفه الامير وخلى سبيله انتهى

(من حلية الكميت ومن قول بن المعتز)

وجاءني في قميص الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر

وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

(ولبعضهم عفا الله عنهم)

جرى دمعي من الحال الذي بي كجرى الماء في اول ايب

ومع هذا فلا اقطع رجائي لان الله الطف من ابي بي

(ومن كلام الشافعي رضي الله عنه)

لم يدر طعم الفقر من هو غني ومصحح الاعضاء ليس كمبتلى

كم فاقة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شجي قد صادفته غمة لا تنجلي
والناس جمعا عند كل كفؤة والهم مفترق ولا احد خلي
لو سود الهم الملابس لم تجد بيض الثياب على امرىء فى محفل
واذا اراد المرء يجلو همه عن نفسه من نفسه لا ينجلي

ومن كلام العارف بالله الشيخ عبد الرحيم البرعي رحمه الله تعالى فى ارض اليمن

رياض نجد بكم حنان * فضية انوارها حسان * وترث واد بنجد
كمسك وجصبا وهابمان * والروض من شعبكم عبير * والزهر ورد وزعفران
والجار فى ربعكم عزيز والحر فى ارضكم يصان فكم سفكتم دمى ودمعى
أما على القائل الضمان ورمت اخفى الهوي ودمعى مدشده الوجه ترجمان
يالائمون اقصروا ملامى رفقاً بمن قلبه مصان لاتذكروا اللاعنين عندى
فلى وللظاعنين شأن قالوا هوام عليك حتم فقلت عهد الهوى يصان
قالوا كم تكتم التصابى قلت المعني بهم معان قالوا فقد فارقوك ربعا
قلت هم الناس حيث كانوا قالوا فدعهم قلت كلا لعل قلباً قسا يلان
ليت الصبا الحاجرى ينبي عن جيرة البان يوم بانو هل عهدهم عهدهم بنجد
باق أم استؤمنوا فجابوا يامحسنا بالزمان ظنا هل تدوي ما يفعل بالزمان
لاتتبع النفس فى هواها ان اتباع الهوى هوان واخجلنى من عتاب ربى
ان قيل أسرفت يافلان الى فتى انت فى الملاهى تصير مرخى لك العنان
لوخوفتك الجحيم بطشي لشوقت قلبك الجنان عندى لك الصفح وهو ري
وعندك السيف والسنان ما تستحي كانبا كريما يخصي به الفعل واللسان
وتستحي شيبة تراها فى النار مسحوبة تهان انت شجاع على المعاصي
وانت عن طاعتى جبان لم ينهك الصيب عن حدودى ولا رسول ولا القرآن
ترضى ان تنقضى الليالى وما انقضى حربك الغوان أى أوان تتوب فيه
هل بعد قطع الرجا اوان آثرت غيرى على لكن كما يدين الفتى يدان
ياسيدي هذه عيوبى وانت في الخطب مستعان يامن له فى العصاة شأن

عفوا والعطف والحنان يامن ملا بره النواحى لم تحل من بره مكان
البر فانى رهين ذنب حاشاك ان يغلق الرهان فاغفر لعبد الرحيم واللطف
بخائف ماله امان وسامح الكل من ذنوب غدا بها يشهد البنان
وصلى ياذا العلا وسلم على من اخلاقه حسان

(وهذه) قصيدة الامام الولى العارف بالله تعالى أبى محمد بن عمر ان اليشكرى نفعنا الله به قال العلامة بدر الدين بن فرحون أحد اصحاب ناظمها ان بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام قال البدر واشك هل كان هو الشيخ او غيره وانشد هذه القصيدة فلما بلغ آخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم رضيناها رضيناها وهى هذه

دار الحبيب احق ان تهواها ونحن فى طرب الى ذكراها
وعلى الجفون اذا هممت بزورة يا ابن الكرام عليك ان تنشاها
فلانت انت اذا حللت بطيبة وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغني الجمال من الخواطر والتى سلبت قلوب العاشقين جلاها
لاتحسب المسك الذكى كثر بها هيهات اين المسك من رباها
طابت بان تبغى لطيب يافتى قادم على الساعات ثم تراها
وابشر ففى الصحيح تقررا ان لا اله بملية سماها
واختصها بالطيبين لطيبها واختارها ودعا الى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفا بها شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطيء الثرى واجلهم قدرا واعظم جاها
كل البلاد ذكرت كاحرف فى اسم المدينة او خلا معناها
حاشا بمسمى القدس فهى قريبة منها ومكة انها اباها
لا فرق الا ان تم لطيفة مهما بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بان خير الارض ما قد حاذذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بما كنها علت كالنفس حين زكت زكى ماواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بهجرة حبه الله شرفها به وحباها
ما بين قبر النبي ومنبر حيا الاله رسوله وسقاها

هذه محاسنها فهل من عاشق ... كلف شجى ناحل بنواها
انى لارهب من توقع بينها ... فيظل قلبى موجعا اواها
ولقلما ابصرت محال سودع ... الارثت له نفسى وشجاها
فلكم ارا كم قافلين جماعة ... فى اثر اخرى طالبين سواها
قسما لقد اكسى فؤادى بينكم ... جزعا وفجر مقلتى مياها
ان كان بزعجكم طلاب فضيلة ... فالخير اجمعه لدى مثواها
اوخوفتموا بهما مرا فتاملوا ... بركات بقعتها فما أزكاها
أف لمن يبغي الكثير لشهوة ... وَرفاهة لم يدر ما عقباها
فالعيش مايكفي وليس هو الذى ... يطغى النفوس الى خسيس مناها
يارب اسأل منك فضل قناعة ... يسيرها وتحصنا بحماها
فارضاك عنى دائما ولزومها ... حتى توافي سعجتى اخراها
وانا الذي أعطيت نفسى سؤلها ... فقبلت دعواها فيا بشرى
بحوار او فى العالمين بذمة ... وأعزمن بالقرب منه يباهى
من جاء بالآيات والنور الذى ... داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الانام بخطة الشرف التي ... تدمى الوسيلة خير من يعطاها
انسان عين الكون شرف وجوده ... يس اكسير المحامد طاها
حسبي فلست فى ببعض صفاته ... لو ان لي عددالورى افواها
كثرت محاسنه فاعجز حصرها ... فغدت وما نلقي لها اشاها
انى اهتديت من الكتاب بآية ... فعلمت ان علاه ليس يضاهى
ورايت فضل العالمين محددا ... وفضائل المختار لا تتناهى
كيف السبيل الى تقضى مدح من ... قال الاله له وحبك جاها
ان الذين يبايعونك انما ... هم من يقال يبايعون الله
هذا الفخار فهل سمعت بمثله ... واها لنشأتها الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا فبذلكم ... تهدى النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد ... وعليه من بركاته اتماها
وعلى الاكابر آله سرج الهدى ... اكرم بعترته ومن والاها

وكذا السلام عليه ثم عليهم ... وعلى صاحبته التى زكاها
اعنى الكرام اولى النهى اصحابه ... فئة التقي ومن اهتدي بهداها
والحمد لله الكريم وهذه ... نجزت وظنى انه يرضاها

وهذا آخرها والحمد لله وحده (ولبعضهم شعر)

لله في ملكه خاتم ... تجرى المقادير على نقشه ... لا تنبشن الشر قبلى به
واحذره على ذلك من نبشه ... مصارع الدهر لها سعاوة ... تنزل السلطان عن عرشه
واطغي الكبش بلحم الكلا ... اذ رج راس الكبش فى كرشه ... اذا بغى المرء على جنسه

لا بد أن ينكث في فرشه

(قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك) ذكر العلامة الشمس العلقمى فى حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال جاء رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ابى اخذ مالي فقال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فأتنى بابيك فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عزوجل يقرئك السلام ويقول لك اذ جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله فى نفسه ماسمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم مابال ابنك يشكوك تريدان تأخذ ماله فقال يارسول الله هل انفقته الا على احدى عماته او خالاته او على نفسي فقال عليه الصلاة والسلام ايها الشيخ دعنا من هذا اخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ماسمعته اذناك فقال الشيخ والله يارسول الله مايزال الله عزوجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسي شيئا ماسمعته اذناى فقال له قل فأنا اسمع فقال

غذيتك مولودا وعلتك يافعا ... تعل بما اسدى اليك وتنهل
اذا ليلة ضاقتك بالسقم لم ابت ... لسقمك الا ساهرا اتململ
كانى انا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى وعيناى تهمل
تخاف الردي نفسى عليك وانها ... لتعلم ان الموت شيء مسجل
فلما بلغت السن والغاية التى ... لها مدة قد كنت فيك اؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتى ... فعلت كما الجار الجاور يفعل

قال فجر بغذا خذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنباب ابنه وقال انت ومالك

لا بيك انتهى (وحكى الاصمعي) قال خرجت فى طلب الاعاجيب من الاحاديث فلا حتنى بلدة بيضاء كانها الغمام قد خلتها فاذا هى خراب وليس فيها ديار ولا انيس فبينا انا ادور فى نواحيها اذ سمعت كلاما فطر قلبى فانصت فاذا هو كلام موحش فسللت سيفى ودخلت ذلك المكان فاذا انا برجل جالس وبين يديه صنم وفى يده قضيب وهو يبكى وينكت به الارض ويقول

اما ومسيح الله لو كنت عاشقا ... لمت كما مامت وما ضمنى لحدى
وكم انسلى بالحديث وبالمنى ... وبالمبرات السائلات على حدى
وانى وان لم يأتنى الموت سرعة ... لامشي على جهد واضحي على جهد

قال فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه فلم يشعر بى الا ان قلت له السلام عليك فرفع رأسه وقال عليك السلام من اين انت ومن جاء بك الى هذا المكان فقلت الله جاءنى قال صدقت وهو الذى افردني فى هذا المكان فقلت مالك تشير الى هذا الصنم الذى بين يديك فقال لى ان حديثى عجيب وامري غريب فقلت له حدثنى به ولا تخف منه شيئا فقال لى اعلم اننا قد كنا قوما من بنى تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنمة ابنة عمى وكنت اذا واهيا فلما كبرت حجبها عمى عنى فكنت احبها حبا شديدا فبينما انا ذات ليلة وانا عندها اذ سمعت عمى يدق الباب فادخلتني سردابا بقرامتها هى ففتحت الباب ودخل عمى فقال لها ابن عبد المسيح انى لم اره فقالت لها انى سمعت كلامه عندك فقالت لم تسمع شيئا وانما خيل لك فقال لا والله لئن لم تصدقينى والا وثبت عليك ان كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت له ان كنت كاذبة فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم يارب الاولين والآخرين ان لم تعلم ابنتى هذه كاذبة فى قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولى اربعون سنة فى هذا المكان وانا اقتوت من نبات الارض واشرب من هذه الانهار واتسلى بالنظر الى هذه الصنمة الى ان يحكم الله بالموت ثم بكى وانشد يقول

وحق الذى ابكى واضحك والذى ... اماتوا واحيا والذى خلق الخلقا
لئن قلت ان الحب يقتل فتى ... وان الفتى بعد التفرق ولا
لقد تلفت نفسى واسال عبرة التى ... تسيل وسيل الدمع منى الا يرقى

(قال) الاصمعى ثم قام ذلك الشاب وتوارى عنى بجدار من تلك الجدار وضرع

المسموح التى كانت عليه ولم يبق عليه الا ما يوارى سوأته فتأملته فاذا عيناه تدور فى ام راسه فقلت فى نفسى هذا اراد ان يطاعنى على تحول جسده ثم اقبل على وهو عريان وقال يافتى انى قائل ثلاث ابيات وكان منى ما كان فاذا انا مت فكفنى اناوارها فى هذه الجبة وادفنا فى هذا الجرن وضمنا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الابيات

من لم يكن يحسب أن الهوي ... يقتل فالينظر الي مضجعى
لم يبق لى حول ولا قوة ... الا خيال الشمس فى موضعى
أشكو الي الرحمن جهد البلا ... اشارة بالطرف والاصبع

(قال) الاصمعى هذا وأنا انظر اليه وأسمع شعره واتعجب منه ومن أمر الصنمة وإذا به وقع على الارض ميتا فما على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسده قال الاصمعى فكفنته وادفنته ما ودفنته ما فى ذلك الجوز وكتبت على قبرهما تلك الابيات وتركتهما وانصرفت وانا متعجب غاية العجب انتهى (ولما) عزم احمد بن طولون على بناء الجامع المعروف به فى مصر القاهرة نفق عليه مائة الف دينار ورتب فيه للعلماء والقراء وارباب الشعائر والبيوت فى كل شهر عشرة آلاف دينار وللصدقة فى كل يوم مائة دينار وكان مشتملا على خصال حميدة (منها) ان فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت وكانت البنت لم تفارق البيت وما نظرت الى السوق قط ولا خرجت وسألت امها وأباها ان تخرج معهما الى السوق فوعداها بذلك فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما الى السوق فرأوا بياب الامير المسمى بالفيل وتمادي الاب والام وتركاها ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة لا تدرى اين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الامير المسمى بالفيل فلما رآها افتتن بها ثم امر الجوارى يغسلنها وينظفنها ويلبسها احسن الملبوس ويطيبنها بانواع الطيب ويحملنها له ففعلن ذلك ثم دخل عليها وأزال بكارتها وابوها قد حزنا عليها ولم يزالا يطلبان على جميع الاماكن فلم يقفا لها على خبر فلم يزالا يبكيان فلما جن الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج ابوها وفتح الباب فقال الرجل المسمى بالفيل أخذا بنتك وازال بكارتها فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لاحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على انه اذا حدثت فاحشة من النواحش يؤذن فى غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة

وكان المؤذن بينه وبين ابى البنت صداقة فجاء اليه واخبره بخبره فصعد واذن فسمعه احمد بن طولون فارسل خلفه فاخبره بالقضية فاستدعى بابو البنت وخباهما فى خرابة وكان وقت مجيء الفيل للخدمة فلما دخل على عادته قال له تهنيك بالعروس الجديدة فقال ومن اين لى عروس جديدة قال اتنكرنى وهذا ابو الجارية وامها واخرجهما فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الامراء الحاضرين فقال له احمد بن طولون ارفع رأسك وقال لا بها تزوج جاريتك مملوكى هذا على صداق قدره الف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة فقال نعم فامر باحضار الشهود وعقد العقد بهما ووضعوا خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود امر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع راسه وقال احمد بن طولون لابى الجارية ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقى من تركه فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له على افعاله فانظر الى هذا العدل العظيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم حكى ان الرشيد أقبل على الاصمعى وقال أتعرف شيئا من اخبار البرامكة فحدثنى به فقال الاصمعى ولى الامان قال ولك الامان فقال احدثك بشيء شاهدته بعينى من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد والقنص وهو فى موكبه اذ رأى اعرابيا على ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض فى سيره قال هذا يقصدنى فقلت ومن أعلمك قال لا يكلمه احد غيرى فلما دنا الاعرابى ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير والجم الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال اخفض عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس الاعرابى فقال له الفضل من اين أقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها ام من أقصاها قال الاصمعى فالتفت الى الفضل وقال كم من العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك لم يقصد ثمانمائة فرسخ الى العراق الا لشيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم فى البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وحقير ولكل منهم خاصة وعامة فهلا أفردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيته لحاجتك قال اجل قال أطولهم باعا وأسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب

ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب المناظرون للعلم أعالم أنت قال لا قال أأديب انت قال لا أفعارف انت بأيام العرب واشعارها قال لا قال هل رددت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب عمرتك نفسك ثلاث يقصد الفضل ابن يحيى وهو كما عرفتك عنه من الجلالة بأى ذريعة او وسيلة تقدم عليه قل والله يا امير المؤمنين ما قصدته الا لاحسانه المعروف وبكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدنى البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه وان لم يصلحان ان تلقاه بهما رزت بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لا تستحق بشعرك شيئا قال أفتفعل أيها الامير قال نعم فانى أقول

الم تر أن الجود من عهد آدم ... تحدر حتى صار نمطه الفضل
ولو أن اما مسها جوع طفلها ... غذته باسم الفضل لاغتذى

قال احسنت فان قال لك هذان البيتان قد مدحتنا بهما الشاعر واخذ الجائزة عليهما قال أقول

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم ... وبقى الذين حياتهم لا تنفع

(ومما نقل من بعضهم)

نوق دعاك الله نسما من البشر ... فصحبتهم تفضي الى البؤس والضرر
وهم احول مع اعرج ثم احدب ... كذا كوسج يتلو تساطم الكدر
واياك والانف الطويل ثم اصفرا ... فانهما بيت الخيانة والخطر
كذا خارج الصدغين خارج جبهة ... كذا ازرق العينين فالحذر الحذر
توقاهمو نحيا سليما من الردي ... وباعدهموا يافا الفراسة والنظر

خلق آدم عليه السلام

قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالي جسد آدم عليه السلام من اقاليم الدنيا فراسه من تراب الكعبة وصدره من اقطار الارض وظهره وبطنه من تراب الهند ويداه من تراب المشرق ورجلاه من تراب المغرب وفي رواية اخرى قال وهب بن منبه خلق الله تعالي آدم عليه السلام من الارضين السبع فراسه من الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة وظهره وبطنه من الخامسة وفخذه وعجزه من الارض السادسة وساقاه من الساعة وفي رواية اخري قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى آدم عليه السلام فرأسه من تراب بيت المقدس ووجهه من تراب الجنة واذناه من تراب طور سيناء وجبهته من تراب العراق واسنانه من تراب الكوثر ويده اليمنى مع الاصابع من تراب الكعبة ويده اليسرى من تراب فارس ورجلاه مع ساقيه من تراب الهند وعظمه من تراب الجبل وعورته من تراب العراق وبدنه من تراب خراسان وقلبه من تراب الطائف وعيناه من تراب الحوض ولما كان رأسه من بيت المقدس صار موضع العقل والفطنة والنطق ولما كان اذنه من تراب طور سيناء صار موضع استماع النصيحة ولما كانت جبهته من العراق صارت موضع السجود لله تعالي ولما كان وجهه من تراب الجنة صار موضع الحسن والزينة ولما كانت اسنانه من الكوثر صارت موضع الحلاوة ولما كانت يده اليمنى من الكعبة صارت موضع البركة والمعونة على المعيشة والجود ولما كانت يده اليسرى من فارس صارت موضع الطهارة والاستنجاء ولما كانت بطنه من خراسان صارت موضع الجوع ولما كانت عورته من بابل صارت موضع الشهوة والغل والغش ولما كان قلبه من الفردوس صار موضع الايمان ولما كان لسانه من الطائف صار موضع الشهادة والتضرع والدعاء الى الله تعالى والله سبحانه وتعالي اعلم

بحمد الله ذي القوة والباس قد تم طبع كتاب اعلام الناس

يباع بمكتبة طه علام باول شارع الصنادقيه بجوار الازهر الشريف

كتابخانه خصوصى غلامحسين - مرولة